ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل يوم جمعة . الثمن : 3 دراهم

السنة 35 ـ العدد 978 الجمعة 2 ذو الحجة 1422هـ ـ الموافق 15 فبراير 2002م

كلمة العدد

السلام والانسانية في الاسلام

السلام في الاسلام فكرة أصيلة ذات جذور عميقة لها أشد الارتباط بطبيعته ونظرته الكلية عن الكون والحياة،والاسلام يعتبر الانسان أرقى وأشرف مخلوق في الحياة. ونسبه إلي المادة التي خلقها الله سبحانه وتعالى قديم وعريق، قال سبحانه في سورة المؤمنون/الآية:12 ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين﴾ وكل أفراد الجنس البشري خلقوا من نفس واحدة، ومن هذه النفس الواحدة خلق زوجها ومنهما، معا، خلق الأفراد جميعا.قال الله تعالى في سورة النساء/الآية:1 ﴿يأيها الناس إتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ وكلهم جميعا خلقوا ليتعارفوا ويتآلفوا لاليتناحروا ويتدابروا، وفي ذلك يقول عز من قائل في سورة الحجرات/الآية:13 ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ وبذلك أزال الاسلام كل أسباب النزاع والعنصرية بتقريره وحدة الانسانية في طبيعتها وفي أصلها وفي نشأتها.

إلى هذه البشرية الواحدة أرسل الله الواحد رسالة واحدة لقوله سبحانه في سورة الشورى/الآية:13: ﴿شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه﴾. ومن هنا تستمد طبيعة السلام في الاسلام لاستنادها إلى أصل عظيم، ويصبح السلام هو القاعدة الدائمة والحرب هي الاستثناء، فالاسلام ينفي معظم الأسباب التي تثير الحروب، فلا مكان للتمييز العنصري في الاسلام فالناس كلهم من أصل واحد، وأنهم خلقوا كلهم من نفس واحدة، ولافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى.وهو يعد البشرية كلها وحدة متعاونة، بل يعد الحياة كلها أسرة قريبة النسب، ولذلك فهو يأمر بالتعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان، وهو يحرم السلب والنهب والغصب، وهو يعد البشرية كلها بالعدل المطلق، لافرق بين جنس أو لون أو عقيدة في الظفر بعدل الله في ظل شريعة الله، في النظام الذي قرره الله عز وجل.

وقد جاء الاسلام ليحقق العدل والسلام في الارض قاطبة ويقيم القسط بين البشر عامة، ولقد جاء رسول الله . عليه الصلاة والسلام . إلى البشرية مأمورا، وعليه أن يبلغ الرسالة للناس كافة بقوله سبحانه في سورة سبأ/الآية:28 ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾. وأن الدعوة طريق الجدل بالحسنى، والاقناع بالحجة في غير قسوة ولا غلظة قال رب العزة في سورة النحل/الآية:125 ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن﴾.

هذا هو الشعار الذي جاء به الاسلام للبشرية كلها، شعار يقوم على المحبة والحكمة والموعظة الحسنة.

● فضيلة الشيخ ماء العينين لارباس . الأمين العام بالنيابة

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية يقول لجريدة العالم الإسلامي السعودية : كلما ارتقى العلم كلما اتسعت دائرة الإسلام وكثر أتباعه ...

أول مدونة للأحوال الشخصية بالمغرب 1790

فضل أداء العمرة والحج

كيفية اعداد الخطبة من طرف الخطيب

الأيام المعلومات

ما جاء في أم القرآن

مشكل السنة والبدعة في عالمنا المعاصر 2/2

■ إعداد الأستاذ : محمد الحسني عضو المجلس العلمي

3. الفرق الضالة فرق مبدعة تقول بغير شرع الله.

. فالبدع المحرمة أشاعت أفكارها الفرق الضالة ، وهذه الفرق جاءت بما ليس في شرع الله . كالخوارج الذين كفروا عليا وعثمان والزبير وطلحة وعائشة، والمشبهة، الذين قالوا في الله بغير علم أو حقائق شرعية تثبتها الفطرة السليمة، وفرق المعتزلة الذين يجعلون مرتكب الكبيرة في المنزلة ما بين المنزلتين، والجبرية الذين، يقولون بجبرية الأعمال الانسانية وينفون عنه إعطاءه منحة الاختيار للانسان والقدرية التي يعتبرها بعضها أن الله لا يعلم الحوادث قبل وقوعها، وهذا كفر صريح وبواح، والقاديانية التي ظهرت لمساندة الانجليز في مواجهة الهنود والمسلمين في المناطق التي استعمروها، ورسخت هذه الظاهرة الدينية جذورها في مناطق شتى من العالم، وهذه هي الفرق الضالة البعيدة عن الشرعية الإسلامية والتي تسيء إلى الكتاب والسنة، في مصادرها الأصلية، ويصدق على هذه الفرق قول الرسول، صلى الله عليه وسلم، إن من كان قبلكم افترقوا على اثنين وسبعين فرقة(ملة) وان هذه الامة ستفترق على ثلاثة وسبعين . اثنان وسبعون في النار . وواحدة في الجنة وهي الجماعة . رواه أحمد وأبو داوود من حديث معاوية.

نماذج من البدع المباحة الجاري بها العمل.

نماذج من البدع المباحة التي لم يستقبحها العلماء، واستحبها الشرع لأنها لا تمس الشرع أو السنة في أصلها أو فروعها لا من قريب ولا من بعيد بل لها محاسنها الشرعية المقبولة.

فالبدعة ضرورة اجتماعية لا مناص منها وأعني البدعة المقبولة فطريا والمستساغة علميا وشرعيا، يذكر البيهقي عن طريق أبي داوود أن المدينة كان بها تسعة مساجد إلى جانب مسجده ، صلى الله عليه وسلم، فكانوا يصلون بأذان بلال ويصلوا الجمعة في مكان واحد وهو مسجد النبي ، صلى الله عليه وسلم، وكان عمر(رضي الله عنه) يأمر صحابته وأولياء عمالاته أن يصلوا في مسجد واحد يوم الجمعة. لكنه أصبح الآن تعدد . المساجد وتعدد الجمع وهذا لا ينافى مع الشرع ولا يضيق دائرته، بل نظرا لاتساع المعمور فإن تعدد الجمع أصبح أمرا واجبا وضروريا . فهذه بدعة ضرورية. ولا محيد عنها. ولم يقل أحد من المنكرين أن هذا الحدث بدعة ضلالة.

. بدعة أخرى وهو توالى الآذان في المدن الكبرى العتيقة فسابقا كان الأذان الأخير في فاس أو مراكش يصل إلى الساعة الثانية زوالا .

. والسدل الذي يطبقه المالكية ويروى أبا القاسم أن مالكا كان يسدل، بينما يشير مالك في موطئه أنه يقبض ويشسير إلى القبض.

والسدل ليس ببدعةوإنما القبض أوالسدل كلاهما لا يسقطان شيئا من تمام وكمال الصلاة. والمصادر الفقهية تشير إلى أن الصحابة كلهم كانوا يقبضون وفيهم شيوخ مالك وأقرانه.

. قراءة الحزب بعد صلاة الصبح والمغرب فهي ليست بدعة حرام، فقراءة الحزب مطلوبة عند الخاص والعام قال الحافظ حرب الكرماني تلميذ أحمد يقول : إن أهل مكة والبصرة والشام كانوا يجتمعون لقراءة القرآن جماعة. فالحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة .

« ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده.." ويقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم، « تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل في عقلها». وقراءة الحزب تدخل في إطار تعاهد القرآن لهو من أكبر الدلائل على وضوح هذه الظاهرة وإحاطة العباد عليها.

. وفي مجال تشييع الجنازة روي الطبراني بإسناد ضعيف عن زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: « إن الله سبحانه يحب الصمت في ثلاث : عند تلاوة القرآن وعند الزحف وعند الجنازة» وذكر المغاربة عند حملهم الجنازة يرتبط بحديث صحيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث يقول «خير ما قلته أنا والنبئون من قبلي لاإله إلا الله» . ويقول كذلك ! قولو لا إله إلا الله تفلحوا" رواه الشيخان . وأحدث هذا الذكر وهو من البدع المستحبة حتى لاينشغل الناس بالكلام في الميت. أو الخوض في الغيبه والنميمة أو الكذب عن الناس والتي قد تجر إلى الكبائر من الذنوب.

. الدعاء بعد الصلاة أو دبر كل صلاة ، فقد اعتبروها بدعة ضالة . ولكن الحقيقة غير ذلك. فالدعاء مخ العبادة، ويقول الله تعالى: قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم « سورة الفرقان الآية 77 وفي حديث سلمان الذي اخرجه أبو داود والترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله حي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين وفي حديث آخر ان الله حي رحيم كريم يستحيي من عبده أن يرفع إليه يديه ثم لا يضع فيهما خيرا ، واخرج أبو داوود وأحمد « إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها .» وقال أبو العباس" فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم « واخرج الترمذي من حديث عمر بن الخطاب قال « كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح به وجهه» ص 130 من كتاب اتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة لعبد الله بن الصديق)

. الذكر بعد الآذان ليس ببدعة روى أبو داوود والترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، الدعاء لايرد بين الآذان والإقامة.

يذكر في بعض المساجد دبر كل صلاة ذكر الصلاة على النبي أو ذكر اسم اللطيف وهذا ليس ببدعة، كما يدعي كثير من المتنطعين ذلك أن الصلاة على النبي وارد فيها آيات قرآنية « يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما « سورة الأحزاب. الآية 55 وفي ذكر اللطيف. وهو من أسماء الله الحسنى يقول تعالى " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها « سورة الأعراف الآية 179 .

فبعض الناس يعتقدون كذلك أن السيادة لسيدنا محمد في الأذان والإقامة بدعة فعز الدين بن عبد السلام بنى مسألة السيادة على التأدب مع رسول صلى الله عليه وسلم. وقول الرسول، صلى الله عليه وسلم« أنا سيد ولد آدم ولافخر» البخاري ومسلم فأبو بكر كان يصلي بالناس في غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء الرسول فأحس به أبو بكر فقال له أمكث مكانك، لكن أبا بكر تواضعا وتسييرا وتكبيرا وتعظيما لقدر رسول الله ومكانته عند ربه. تراجع أبو بكر وقدم الرسول صلى الله عليه وسلم . فأبو بكر تأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم . وقول الله تعالى « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضهم بعضا « سورة الفرقان /الآية: 60. وكان الصحابة يناجون الرسول صلى الله عليه وسلم«يامحمد . لكن الله سبحانه يقول له يارسول الله يانبي الله. فلا يجوز ذكر اسمه مجردا عن وصف السيادة. وهذه الكلمة من أسماء التقدير والتقديس والتعظيم.

. الفدية على الميت، اعتبرها بعضهم بدعة حرام والحقيقة ليس كذلك. فهم يجتمعون لتناول الطعام وقراءة القرآن وإعطاء . النقود للفقراء ، والفقهاء وحفظة القرآن مع الذكر وهذا الشيء مقبول شرعا فالنبي ، صلى الله عليه وسلم، يأمر بإطعام الطعام وإفشاء السلام. وقيام الليل، والناس نيام والرسول ، صلى الله ليه وسلم، يقول « خير ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله ».

. وما يخلطون به في مسألة التشهد حول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فابن مسعود تلقى هذا التشهد يدا بيد من الرسول ، صلى الله عليه وسلم، . فلما توفي النبي ، صلى الله عليه وسلم، قال في تشهده السلام على النبي ورحمة الله وبركاته ، وهذا عن اجتهاد وليس عن توفيق كما زعم الألباني .

. الصلاة في مسجد فيه قبور. جاء في الأثر ان عمر رأى أنس بن مالك يصلي عند قبر ولم يأمره بإعادة الصلاة ولم ينهه.

. وروي عن ابن عمر انه حضر الصلاة التي أمها أبو هريرة في دفن عائشة رضي الله عنها التي دفنوها في البقيع وأقاموا الصلاة في المقبرة.

ويقول «صلى الله عليه وسلم في الحديث «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا».

. وفي حديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم، الذي قال فيه «لعن الله اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وقال كذلك في حديث آخر اللهم لا تجعل قبري وثنا. لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، إن اتخاذ القبر مسجدا معناه الصلاة له تعبدا والسجود له لا بناء مسجد عليه.

. الذين يكفرون بعضهم بعضا. ويقولون هلك الناس. يقول الرسول «صلى الله عليه وسلم، من قال هلك الناس فهو أهلكهم» الحديث ومن قال هذا كافر فقد باء بها.

. إذن فالبدعة هو ماابتدع في مجالات الحرام الواسعة أما البدع المستحبة والمباحة والمندوبة فهي تتجدد ولابد من وجود مبتدعات واكتشافات مادية أو معنوية. ترتبط على الدوام بالواقع الشرعي الذي يعيشه المؤمن دون تعصب أو تحجير أو حرج أو عسر، أو مشقة ذلك أن الشريعة الاسلامية تساير التطور والجديد في الحياة كل يوم ولايمكن أن يقف الانسان مع ظواهر النصوص دون تحريكها وتفعيلها وأجرأتها مع متطلبات العصرالحديث وهذا التوسع في التشريع لا يتأتي إلا للفقهاء المجتهدين والعلماء العاملين في إحياء الفقه والسنة النبوية الشريفة.

مخارج الحروف

■ إعداد الأستاذ : محمد الجعادي

❖ تعاريف :

. المخارج: جمع مخرج، وهو . كما قال الداني . الموضع الذي ينشأ منه الحرف وقال بعضهم :هو الحيِّز المولِّد للحرف.

. الحروف: جمع حرف، وهو لغة طرف الشيء ، واصطلاحا صوت معتمد على مخرج محقق أو مقدر، فالمخرج المحقق هو جزء معين من أجزاء الحلق أو اللسان أو الشفتين، والمخرج المقدَّر هو الهواء، أي الفراغ الذي في داخل الحلق والفم ، وهو مخرج حروف المد الثلاثة.

وعدد حروف المعجم تسعة وعشرون، وعدها ثمانية وعشرين من عد الألف والهمزة حرفا واحدا.

❖ عدد مخارج الحروف:

عدد مخارج الحروف على القول المشهور خمسة عشر مخرجا إضافة إلى مخرج الغنة (16) ، وهو مذهب الشاطبية والدرر اللوامع، وذهب ابن الجزري إلى أنها سبعة عشر.. وتنحصر هذه المخارج كلها في خمسة مواضع عند الخليل ، وهي:

. الجوف.
. الحلق.
. اللسان.
. الشفتان.
. الخيشوم.

وهناك فئة من علماء اللغة كسيبويه أسقط الجوف، ولم يعتد بمخرج الغنة (الخيشوم) فجعل مواضع المخارج ثلاثة: الحلق واللسان والشفتين، وعلى هذا سار صاحب الدرر اللوامع.

. اللسان : عشرة
. الشفتان: مخرجان.

وتضيف :

. الجوف : مخرج حروف المد.

ويعرف مخرج الحرف بأن يسكن الحرف أو يشدَّد ويدخل عليه همزة الوصل، فأين ينتهي الصوت فثم مخرجه.

وتقسيم المخارج على المواضع يكون هكذا:

. الحلق: ثلاثة مخارج.
. الخيشوم: مخرج الغنة.

❖ مخارج الحلق:

للحلق ثلاثة مخارج حقيقية:

. أقصاه: أبعده من مقدم الفم وأولى مما يلي الصدر، ويخرج منه حرفان: الهمزة والهاء.

. وسطه: ويخرج منه حرفان: العين والحاء المهملتان.

. أدناه: مما يلي الفم، ويخرج منه حرفان: الغين والخاء المعجمتان. وتسمى هذه الأحرف الستة بحروف الحلق.

وقد ذهب صاحب الدُّرر اللَّوامع على اعتبار خروج الألف من أقصى الحلق ، إلا أن المرجح هو أن حروف الحلق ستة فقط، أما حروف المد الثلاثة جميعها فتخرج من الجوف.

يقول ابن بري في الدرر:

القصد من هذا النظام المحكم ❖❖ حصر مخارج حروف الفم وهي ثلاثة مع عشر واثنين❖❖في الحلق ثم الفم ثم الشفتين. فالهاء والهمزة ثم الألف ❖❖ من أخر الحلق جميعها تعرف والعين من وسطه والحاء ❖❖والغين من آخره والفاء.

الوثاق

أول مدونة للأحوال الشخصية بالمغرب (1790)

الأستاذ : إدريس كرم

سبق لنا أن قدمنا في عدد 974 من جريدة: "ميثاق الرابطة" نموذجا للاصلاح القضائي الذي أمر بإنجازه السلطان العظيم والعالم الجليل سيدي محمد بن عبد الله أواخر القرن الثامن عشر، وتتميما للفائدة، نقدم ظهيرا آخر له من تلك المدونة القضائية الرائدة، يخص الزواج والطلاق وكيفية الاثبات والانفصام بعدما ثبت له فساد خطة العدالة وتلقي الشهادات، وجنوح بعض القضاة عن جادة الصواب مما يعتبر حركة تطهير رائدة لصفوف جهاز القضاء وأعوانه، مستعينا في ذلك بما يعتبر اليوم بالمجتمع المدني، الممثل وقتها في جماعة الدوار، وسكان الأحياء، والطلبة وعموم الناس، والهدف هو التنبيه الى أن الإصلاح الإجتماعي له قواعد متاصلة ببلادنا، لذلك تاتي ريحه رخاء، وشديد أمره يسيرا ممراء.

نص الظهير الأول :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله، نأمر جميع القضاة أن لا يتركوا عونا من الأعوان الذين يشيعون الخصام بين الناس بالباطل، ويأكلون أموالهم، وهم الذين أقاموا بدار القضاء السنة فأكثر، يتوكل على أحد، وإن جاء للقاضي وكيلا على أحد، ولم يطوفه القاضي في الأسواق بوكالته ويطرده، فلا يلوم إلا نفسه، وإن أرادت امرأة من ذوي المروءة، أن توكل أحدا فإن القاضي أو زوجها يوكل عنها من هو رجل خير، ليس له ارب في طول الخصام، وتشبعه وأكل أموال الناس بالباطل، وعلى هذا يكون العمل إن شاء الله باب في الأنكحة

❖❖❖

وأما العمل في الأنكحة فمن أراد التزويج فإن كان غنيا والزوجة غنية كذلك، فيدفع في صداقها إن كانت بكرا أربعين مثقالا نقدا مقدما لا مؤخر فيها، وإن كانت ثيبا يدفع لها عشرين مثقالا معجلة كذلك، ولا يكون في الصداق مقدم ولا مؤخر، وإنما يكون الصداق هو ما دفعه، وإن أراد الزوج أن يدفع أكثر من ذلك يتبرع به لأجل الظهور والسمعة، أو لأن تأتي له الزوجة بأكثر مما دفعه لها من الشورة، والزينة وغير ذلك، فيكون ذلك بحسب أهل المروآت، فمن كثرت مروءته كثرت شورته لبنته، ومن قلت مروءته قلت شورته لبنته، لا أن ما تأتي به الزوجة المذكورة من الشورة هو لها، ولا كلام للزوج فيه البتة.

❖❖❖

وما يدفع الزوج لولي الزوجة من المال، ولو كان مالا له بال هو زائد على الصداق فلا يعد عند الطلاق، وإنما هو للمرأة وكذلك الشورة فإنها للزوجة، أتت بها من دار أبيها وإن وقع بينهم طلاق، تمش المرأة لدار أبيها بشورتها ولا تباعة للزوج عليها، وإن وقع كره منها من غير سبب تبقى في دار أبيها أو أقاربها، ولا تطلق إلا إذا أراد الزوج الطلاق، ولا يقبض منها غير الذي هو مكتوب في العقد لا غير.

❖❖❖

والمال الذي يزاد للمرأة لأجل جمالها ليس هو من الصداق فإن أهل البوادي يسمونه الماكلة، ولا يكتب في الصداق، وحاصل الأمر ليس هو من الصداق في شيء، سواء كان من أهل البوادي أو أهل الحواضر، وإن كان الزوج فقيرا لا مال عنده.

❖❖❖

والزوجة كذلك فيدفع في تزويج البكر عشرة مثاقيل، وفي تزويج الثيب خمسة مثاقيل، ولا يزيد على ذلك شيئا، ويدفع ذلك مقدما لا مؤخرا فيه بحيث إذا وقع الطلاق بين الزوج والزوجة وادعت أنها بقي لها من صداقها شيء فلا يقبل قولها ولا تسمع دعواها، فبمجرد الطلاق لم يبق بينها وبين الزوج نزاع ولا تباعة، وهذا يشمل الأغنياء والفقراء.

وأما العمل في التزويج في الحاضرة فهو أن الرجل إذا زوج ابنته من رجل آخر يصنع الطعام في داره وينادي على أهل حومته وسوقه وأقاربه وغيرهم، ويأتي بالطبالين والمسامع، ويشهر ذلك كل الشهرة حتى يسمع الناس كلهم أن فلانا تزوج من عند فلان بنته فلانة، ويأكلون الطعام ويقرءون الفاتحة ويدعون له بالخير والبركة والتأليف بينهما، ويخرجون من عنده، وكذلك إن وقع الطلاق بينهما، تأتي الزوجة لدار والدها أو أحد من أقاربها، وتصنع ما تيسر لها من الطعام الخفيف، ويحضر جيرانها ويأكلون ذلك الطعام، ويعلمون أن فلانا الفلاني طلق زوجته فلانة بنت فلان الفلاني، ويدعون لها الله يرزقهم خلفا أفضل من ذلك الرجل الذي طلقها.

❖❖❖

وأما العمل في البوادي فهو أن الرجل إذا زوج بنته من رجل آخر، فإما أن يكون الزوج في الدوار الذي هو به أو لا، فإن كان معه في دواره فيصنع الزوج الطعام في خيمته وينادي على أهل الدوار وغيرهم للجامع، ويأكلون الطعام فيه، ويشهرون ذلك الزواج بالنداء والزغاريت، وغير ذلك مما جرت به عادتهم حتى يسمعه كل واحد ويقرءون الفاتحة، ويدعون لها بالبركة والخير والتأليف بينهما، وتصير الزوجة زوجة له وعلى قبله، ففي أي وقت تيسر له وسهل عليه صنع الوليمة يصنعها، هذا إن كانت الزوجة بكرا، وأما إن كانت ثيبا فذلك الطعام الذي يصنع ويأكله الناس وتقرأ الفاتحة به، هو يكفي في ذلك ويأتي الزوج بزوجته إلى خيمته أو داره، وأما إن كان الزوج في دوار والزوجة في دوار آخر فإن الزوج يبعث للزوجة للدوار الذي هي فيه بالشياه والدقيق والإقامة، وتصنع الطعام في خيمتها وتنادي على أهل الدوار وغيرهم ويأكلون الطعام عندها، وتشهر النكاح المذكور بالنداء، والزغاريت كما ذكر، ويقرءون الفاتحة، ويدعون لها بالخير والبركة، وكذلك إن وقع الطلاق بينهما يجعل ما خف من الطعام ويحضر أهل الدوار في الجامع، ويأكلون ذلك الطعام ويعلمون أن فلانا طلق زوجه فلانة، ويدعون لها الله أن يرزقها خلفا أفضل.

وأما هؤلاء العدول الذين يشهدون على التزويج وعلى الطلاق فلا يعمل بشهادتهم، وأن فلانا تزوج بنت فلان وهي فلانة على صداق كذا، فإن تلك الشهادة باطلة لا يعمل بها، ولا يحكم بها وإنما العمل في التزويج والطلاق هو ما ذكرناه وبيناه، قال عبد الله أمير المومنين محمد بن مولانا عبد الله، عدول هذا الوقت لا أثبت شهادتهم ولا أجوزها على حمار عائب لا فائدة فيه، أحرى على تزويج مسلمة، وهم كما قيل:

لقد سالت هنيا موجودا أبهتانا تريد أم كذوبا

❖❖❖

وقد أشار لهذا المنشور الكاتب ابن عثمان في رحلته، (البدر السافر) حيث يقول: أنه قد خرج إلى التوقيع بأمره المطاع، وامر أن يفشي ويذاع، ويذكر في الأندية ويشاع، بأنه إذا تزوج رجل وامرأة وتراكنا . فليظهرا ذلك علنا ولا حاجة إلى أولئك الذين تسموا بالعدول لما علم أنهم عن الحق عدول.

نص الظهير الثاني:

بسم الله الرحمن الرحيم: وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

ليعلم جميع من يتولى خطة القضاء أنا أمرناه، أن لا يباع على غائب أو محجور ذكر وأنثى، فيما يستقبل من تاريخ كتابنا هذا، عقار أو ربع، فإن اطلعنا على رسم يتضمن ذلك، فأنا نعاقب القاضي عليه بالعقوبة الشديدة، ويفسخ ذلك ولا يمضي منه شيء، ويبقى الغائب على حقه إلى أن يقدم، والمحجور حتى يخرج من حجره، وإذا أراد الشريك البيع على الغائب أو المحجور، يشترط على المشتري أن لا يحدث في المبيع شيئا، من هدم أو بناء أو نحو ذلك.

❖❖❖

وكذلك أمرنا من ذكر أيضا أن لا يكتب في الأصدقة أزيد من أربعين مثقالا، إذ هي غالب أصدقة السلف الصالح، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من يمن المرأة قلة مهرها)، وقالت مولاتنا عائشة : (من شؤم المرأة كثرة صداقها)، وقال سيدنا عمر: (لا تغلوا في صدقات النساء فإنه لا يبلغني عن أحد أنه ساق أكثر مما ساقه نبينا صلى الله عليه وسلم إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال).

ومذهب مالك كراهة المغالات فيه، فإن رضي المتعاقدان على النكاح بأزيد مما ذكرناه فلا يكتب في الصداق، ولا يكون الصداق إلا ناجزا كله، ولا يؤخر منه شيء لأن في ذلك قطعا لمادة الخصام، قال ابن الماجشون: كان مالك وأصحابه يكرهون أن يكون شيء من الصداق مؤخرا، أو كان يقول إنما الصداق فيما مضى ناجز كله، وكره في المدونة تأخير بعض الصداق، وإنما كرهه لمخالفته لأنكحة الماضين فإن كتب في الصداق أزيد مما ذكرنا أو كتب فيه كالئي، فإنا نعاقب القاضي وشاهدي النكاح بالعقوبة الشديدة نكالا لغيرهم.

❖❖❖

ولا يطالب أب أو ولي بشورة بل يكون ذلك موكلا إلى مروءته، وهذا في غير نكاح الاشراف، وأما هم فيتركون على ما هو معروف بينهم، غير أنه يكون كله ناجزا، ولا كالئي فيه كما ذكرنا.

وكذلك أمرنا من ذكر أيضا أنه إن وقعت خصومة بين الزوجين أن يرد الزوجة لدار أبيها أو وليها إن كان، وإلا فالقاضي ينظر أين يضعها وما ذكرنا من رد الزوجة لدار أبيها أو وليها، إنما ذلك بعد بعث القاضي حكما من أهله وحكما من أهلها ليصلحا بينهما، فإن اصطلحا فذاك المراد، وإن نفخ الشيطان في رأس أحدهما فليفعل ما ذكرنا، ولا تطلق عليه إلا إذا كان عن طيب نفس منه بخلع أو غيره، وقدم لدار أبيها أو وليها ويقول له، قد طلقت ابنتك عن طيب نفس مني طلقة بائنة، وهذا الحكم شامل في الحواضر والبوادي.

❖❖❖

وما ذكرنا ينفي طلاق المكره ولا يبقى في هذا الطلاق شبهة البتة، ولا يلزم زوجها نفقة في تلك المدة إلى أن ترجع برضاها إليه، وأما إذا كانت غضبى في دار أبيها واستمرت على نشوزها ولم يوفق الله بينهما، فطلب الزوج منها أن ترد إليه ما دفع إليها وتخالعا على ذلك، فلا نفقة لها لأن هذا وقت صعب قلت فيه الأمانة، وكثرت فيه الخيانة، فاذا سكنها بين الناس، وكان الزوج ذا مال وجاه، ربما شهدوا له أنها هي الظالمة، أو كانت هي كذلك، ربما شهدوا لها بظلمه، وعلى جميع ما ذكرنا يكون عمل كل من ولينا والسلام. في السابع والعشرين من جمادى الأولى عام ثلاثة ومائتين وألف.

الحديث الثالث والعشرون: فضل أداء العمرة والحج

نص الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" رواه الجماعة إلا أبو داود.

تخريج الحديث:

أخرجه البخاري في صحيحه (431/4) كتاب العمرة، باب العمرة وجوب العمرة وفضلها رقم (1773)قال: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة وذكر الحديث، ومسلم (127/5 . والنووي) كتاب الحج: باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (1349/437)والترمذي (263/3)كتاب الحج: ماذكر في فضل العمرة (933) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (115/5) كتاب ما جاء في العمرة: باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة (2629)، وابن ماجة (963/2) كتاب المناسك:باب فضل الحج والعمرة (2888)، وابن حبان في صحيحه (9-8/9)كتاب الحج: باب فضل الحج والعمرة (3696/3695)ومالك في الموطأ(346/1) كتاب الحج: باب جامع ماجاء في العمرة (65)،كلهم من طريق أبي هريرة.

أهمية الحديث:

هذا حديث نبوي عظيم وبشارة كريمة، ترغب المؤمن في إتباع العمرة العمرة، وتبين عظيم فضل وجزيل ثواب الحج.

مفردات الحديث:

"العمرة":لغة الزيارة، وهي مأخوذة من الاعتمار، وشرعا: زيارة بيت الله الحرام على وجه مخصوص.

"كفارة":أي سبب في المغفرة وستر الذنوب.

"الحج":الحج لغة: القصد مطلقا، وشرعا: قصد مكان الكعبة والمشاعر في زمن مخصوص لأداء أفعال مخصوصة حددها الشرع.

"المبرور": خالص مقبول لاخلل فيه، ولم يخالطه إثم.

المعنى العام

1. العبادات تكفر الذنوب

من فضل الله عز وجل وكرمه، أن جعل محطات تكون فرصة للمؤمن ليتطهر فيها من الذنوب والمعاصي، فعن إسحق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال: حدثني أبي عن أبيه قال كنت عند عثمان فدعا بطهور فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب مالم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله"رواه مسلم.

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:" الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات مابينهن إذا اجتنب الكبائر" رواه مسلم.

إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة التي ترغب المؤمن في الاستمرار على الطاعة والاستقامة، فذلك سبب في مغفرة الذنوب وتكفير المعاصي، ودخول الجنة بإذن الله تعالى.

2. تعريف الحج والعمرة

الحج لغة: القصد مطلقا، وعن الخليل قال: كثرة القصد إلى من تعظمه وشرعا: قصد مكان مخصوص وهو الكعبة وعرفة لأداء أفعال مخصوصة، في زمن مخصوص وهو أشهر الحج وهي:شوال وذو القعة وذو الحجة، ولكل فعل من أفعال الحج مكان وزمن مخصوص.

والعمرة لغة: الزيارة، وقيل القصد إلى مكان عامر، وسميت بذلك، لأنها تفعل في العمر كله، وشرعا: قصد الكعبة للنسك وهو الطواف والسعي بإحرام.

3. مكانة الحج في الإسلام

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، فرضه الله تعالى على المستطيع،وهو آخر ما فرض سبحانه وتعالى من الشعائر والعبادات، التي رسم سبحانه حدودها وبين معالمها، ولقد فرض على الصحيح في أواخر سنة تسع من الهجرة.

وإن للحج لمكانة عظيمة في الإسلام، لما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة، قال: "سئل رسول الله (ص)، أي الأعمال أفضل؟قال: إيمان بالله وبرسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: ثم الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: ثم حج مبرور".

4. حكم الحج والعمرة

الحج فرض عين مرة في العمر، إذا توفرت الشروط، ودليل فرضيته، قوله تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)سورة آل عمران/الآية:97. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله (ص) فقال: "أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا، فقال رجل أكل عام يارسول الله؟فسكت حتى قالها ثلاثا. فقال رسول الله ،ص):لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال ذروني ماتركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منها مااستطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه"(1).

واختلف الفقهاء، في وجوبه على الفور أو التراخي، أما الذين قالوا بوجوبه على الفور فدليل قوله تعالى:(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) سورة آل

■ إعداد الاستاذ، عبد الله بوغوتة

عمران/الآية:97، ووجه الاستدلال من الآية أن الأمر فيها مطلق،والأوامر المطلقة تقتضي الفور(2).وعن أبي هريرة أن النبي (ص) قال:"حجوا قبل أن لاتحجوا" رواه البيهقي. وعن أبي أمامة أن النبي (ﷺ) قال: "من لم يحبسه مرض أو حاجة ظاهرة أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا" رواه البيهقي.

والقول بالوجوب على الفور هو قول العراقيين عن مالك، قال الدردير:هو الأرجح،وقال الباجي في المنتقى: الأظهر عندي أنه فرض على التراخي وهو قول المغاربة، كما دل عليه القرطبي في تفسيره، وابن رشد الجد في المقدمات، والحفيد في بداية المجتهد، وقال الشيخ الطاهر بن عاشور:هو الصحيح من مذهب مالك. ودليلهم أن الآية السالفة من سورة آل عمران، قد نزلت عام أحد سنة ثلاث من الهجرة(3)، فيكون الحج قد فرض قبل حج النبي (ﷺ) بسنين، ولو كان على الفور لما أخره، ولو أخره لعذر لبينه(4). والعمرة سنة عين في العمر على الراجح.

5. فوائد الحج.

للحج فوائد جمة شخصية وجماعية تعود بالنفع والفائدة على الفرد والجماعة.

أ . فأما الشخصية، فهو يكفر الذنوب ويطهرالنفس من شوائب المعاصي، بل إنه لايقتصر على تكفير الذنوب، إذ ليس له جزاء إلا الجنة كما ورد في الحديث الذي بين أيدينا، ولقوله(ص):"من حج ولم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه" (5). أي بغير ذنب،كما قال الترمذي "غفر له ماتقدم من ذنبه"وقال عليه الصلاة والسلام:"الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم"(6).

فالحج يغفر الذنوب،ويزيل الخطايا إلا حقوق الأدميين، فإنها تتعلق بالذمة، قال القاضي عياض: أجمع أهل السنة أن الكبائر لايكفرها إلا التوبة، ولاقائل بسقوط الدين، ولو حقا لله تعالى، كدين الصلاة والزكاة".

والحج يطهر النفس ويردها إلى الصفاء والإخلاص، أي إلى فطرتها النقية، مما يؤدي إلى تجديد الحياة، وتقوية الأمل وحسن الظن بالله تعالى.

وبالحج يؤدي العبد لربه شكر النعمة، ويغرس في النفس روح العبودية الكاملة لله تعالى، حيث يخرج المؤمن من دنياه، من ولده وماله ومنصبه وجاهه راجيا رحمة ربه، وسائلا المغفرة والثواب، وقبول الأعمال.والمجال لايتسع لبسط كل فوائد ومنافع الحج.

ب. فوائد الحج الجماعية

موسم الحج يفسح المجال للتعارف بين أبناء الإسلام على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأوطانهم، وكذا إمكانية تبادل المنافع بينهم، والتعرف على أحوال بعضهم البعض مما يوطد العلاقات ويقوي الصلات بين أبناء أمة الإسلام.

ويشعر الحج بقوة الرابطة الأخوية مع المؤمنين في جميع أنحاء الأرض، ويحس الناس أنهم حقا متساوون، لافرق بين غني ولافقير ولاحاكم ومحكوم، برداء واحد وبألفاظ موحدة وبشعائر موحدة وعلى صعيد واحد، الكل متوجهون إلى ربهم معترفون بنقصهم وذنوبهم.

ويساعد الحج على نشر الدعوة الإسلامية ودعم نشاط الدعاة إلى الله تعالى في أنحاءالمعمورة، على النحو الذي بدأ به النبي (ﷺ) نشر دعوته بلقاء وفود الحجيج كل عام...

6. الحج المبرور

جاء في المسند أنه (ﷺ) سئل عن بر الحج فقال: "إطعام الطعام، وإفشاء السلام" (7) وفي رواية:"وطيب الكلام"(8).

ولا يكون الحج مبرورا بدون إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأركان الإسلام مرتبط بعضها ببعض.

ومن أعظم أنواع البر عباد الله كثرة ذكر الله تعالى فيه، قال(ﷺ): "أفضل الحج العج والثج"(9) والعج هو رفع الصوت بالتلبية والذكر، والثج إراقة دماء الهدايا والنسك ومن أنواع البر في الحج كذلك استحسان الهدي واستسمانها واستعظامها. قال الله عز وجل: (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير)سورة الحج/الآية:36.وقال:(ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)سورة الحج/الآية:30. وقد أهدى النبي في حجة الوداع مائة بدنة.

ومن أفضل أنواع البر في الحج، معاملة الناس معاملة يرضاها الله ورسوله، معاملة مطبوعة بالأخلاق الحسنة تلك الأخلاق التي ركز عليها القرآن الكريم، وجسدها الحبيب المصطفى (ﷺ) على أرض الواقع في حياته الشريفة كلها، وأثناء الحج خصوصا.

ومن بر الحج كذلك اجتناب أفعال الإثم كلها،من الرفث والفسوق والمعاصي، قال الله عز وجل: "فلا رفث ولا فسوق ولاجدال في الحج) سورة البقرة/الآية:197. وقال (ص): "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه"(10).

ومن بر الحج كذل أن يطيب العبد نفقته، فإن الله طيب لايقبل إلا طيبا، ولله در القائل:

إذا حججت بمال أصله سحت
فما حججت ولكن حجت العير
لايقبل الله إلا كل طيبة
ما كل من حج بيت الله مبرور

ومن بر الحج كذلك أن لايقصد العبد بحجه رياء ولاسمعة، ولامباهاة ولافخرا، ولاخيلاء، ولا يقصد به إلا وجه ربه ورضوانه، ويتواضع في حجه، ويستكين ويخشع لربه. قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما: ما أكثر الحاج!قال: ماأقلهم.وقيل: الركب كثير والحاج قليل.

فاحرص أخي المؤمن، أختي المؤمنة على الخير العظيم والنفع العظيم، ولاتكن من الغافلين.

أفكار الحديث

. العبادات سبب في تكفير الذنوب ودخول الجنة.
. مكانة الحج في الإسلام.
. فضل الحج والعمرة وفوائدهما.
. الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

فوائد الحديث

. بيان فضل العمرة والحث عليها.
. الحج المبرور لايقتصر ثوابه على تكفير الذنوب فحسب وإما يتعدى ذلك إلى إدخال العبد الجنة.

الهوامش

1. رواه مسلم (101.100/9)في الحج: باب فرض الحج مرة في العمر عن أبي هريرة.
2. الإشراف على مسائل الاختلاف. ج1ص:218.
3. التحرير والتنوير . ج3 . ص:144. والأحكام للقرطبي ج4 . ص:144.
4. التحرير والتنوير . ج4ص:24.
5 ـ رواه عن أبي هريرة البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة، والترمذي.
6. رواه عن أبي هريرة، النسائي وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما.
7. اخرجه أحمد في المسند (334.325/3).
8. اخرجه الحاكم (483/1) من حديث جابر، وقال :صحيح الإسناد.
9. رواه الدارمي (31/2)والترمذي(84/3. تحفة) وابن ماجة (217/2)وقال الألباني: وهذا الإسناد رجاله ثقات.
10. رواه البخاري وأحمد والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة . صحيح الجامع (281/5)رقم 6073.

حديث المنابر

الأيام المعلومات

إعداد : عبد الله بن الطيبي كديرة

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين ، العلي العليم الرزاق المنعم الكريم، الذي جعل لعباده المؤمنين، أهل ذكره وشكره وحسن عبادته أياما معلومات من أيامه ، يشهدون فيها منافع لهم دنيوية وأخروية ؛ رضوانه جل وعلا، وتجاراتهم التي لا تبور، بعمارتهم لدنياهم بما يزينها من العمل الصالح لنفع خلق الله عيال الله ... أشهد أنه الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له، الوهاب الكريم الصمد المعطي النافع، لا يعبد سواه، ولا يرجى إلا هو ، ولا يطمع إلا فيما عنده ولا يخشى أو يخاف غيره.. وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا رسول الله، علمنا أن الله تعالى يعيد في كل حين وعلى كل حال .فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أيها المؤمنون البررة الكرام. يقول رب العزة جل وعلا في كتابه الحكيم : «ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام . فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير...»، ويقول جل جلاله»والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسري ، هل في ذلك قسم لذي حجر...» والأيام المعلومات هي الأيام العشر الأولى المباركة التي سيحياها المؤمنون في بداية شهر ذي الحجة الحرام الذي سيهل علينا باليمن والإيمان إن شاء الله بعد أيام قلائل .وهي أيضا الليالي العشر التي أقسم بها الرب الكريم جل وعلا، وذلك لجلالها وعظمتها... إنها من أيام الحج ولياليه .. إنها الأيام والليالي الأولى من شهر حرام ضمن أشهر ثلاثة متوالية حرام..وما أعظم أن يتذكر المسلمون أيامهم ولياليهم الغر الفاضلة: (أيام الله) ، وأن يحيوها بالذكر والصلاة والصيام والحج والعمرة والعمل الصالح بكل أنواعه .. العمل النافع الذي يعمهم نفعه جميعا غنيهم وفقيرهم ، وقويهم وضعيفهم، وصغيرهم وكبيرهم.. بل إن عمل المؤمنين الصالح يشمل كل خلق الله عيال الله من البشر أجمعين، والحيوان والنبات .. حتى الجماد... البيئة كلها تنتفع بعمل المؤمنين الصالح، فتُزَيِّنُ وتُؤمِّن ، فلا يعضد شجرها ، ولا يستأصل أو يقطع أو يفسد نباتها، ولا يقتل حيوانها إلا إذا لم يؤمن شره، من كلب عقورأو عقرب أوافعى.. أو غيرها من الهوام الفواسق.. وهذا النفع والتزيين والتأمين إن كان واجبا على الحجاج في مناسكهم، فغيرهم من المؤمنين خليق بهم أن يتذكروا- وفي كل وقت من هذه الأيام المباركة - أنهم في أيام الله المباركات المعلومات، فيقتدوا بالميامين من حجاجهم، فيكثروا من العمل الصالح النافع لكل خلق الله ... وأن يضمروا في طواياهم السلام والأمان والخير والبر لكل خلق الله ... وأن يحبوا الله تعالى بجلب المنافع لخلقه، ودفع المضار عنهم.. وهذه حقا هي شهادة المنافع للمؤمنين، وهذا هو شهودها لهم، يشهدونها لأنها من أعمالهم، ويشهدون بها لمن قام بها من إخوانهم .. ويشهدون تعميما على كل خلق الله عيال الله، فترتاح لها نفوسهم ، وتطمئن بها قلوبهم .يشهدونها خضرة وجمالا وعمرانا من حولهم، ويعمل دائب مشترك منهم ومن إخوانهم... فيكثر الخير والبر، ويعم النفع والصلاح والإصلاح بالعمل الصالح المصلح... وكل مؤمن يعمل في هذه الأيام والليالي العشر المباركات كل أعمال البر والخير والصلاح التي يقدرعليها يفلح وينعم، إذا كان نصب عينيه قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، في حديثه الصحيح الذي أخرجه الإمام البخاري رحمه الله» ما العمل في أيام أفضل منها في هذه ، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل يخرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء، العمل الذي نفهم من هذا الحديث العظيم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، يقصده هوكل عمل صالح تعود به على المسلم في نفسه وأهله ومجتمعه وأمته وكل إخوته في الإنسانية مصلحة صغيرة أو كبيرة، عامة أوخاصة، دائمة أو مؤقتة، دنيوية أو أخروية... المهم أن يكون عملا صالحا نافعا ، والنية التي انبثق عنها ذلك العمل نية خالصة مخلصة لله وحده، يبتغي بها صاحبها وجه الله ومرضاته ، ونفع الخلق عيال الله .. لا يريد بها شهرة ولا سمعة ولا رياء ولا نفاقا ولاشقاقا. عمل كهذا في هذه الأيام والليالي المعلومات المباركات.. هذه الأيام والليالي العشر، عمل لا يضارعه ولا يفضله عمل ..إلا عمل من جاد بنفسه وماله معا في سبيل الله عن طيب خاطر. ويوم يصل المسلمون إلى هذا المستوى السامي من الجود ، فلن تتطاول عليهم أفلاذ الأمم وذيولها من يهود صهيون، وصليبي الشرق والغرب .. وقوى الاستكبار خلفهم تدفهم في حقد وغل.. ويتظاهرون بما ليس فيهم، ولا هو من شيمهم من حماية الإنسان والدفاع عن حقوقه... والمسلمون إذا عاشوا دينهم وطبقوه في أيامهم ولياليهم كلها، وعلى كل أحوالهم. وعاشوا أيام الله تعالى فيما فضل لهم من أيام وليال فاضلة كريمة.. ومنها هذه الأيام والليالي العشر التي نحن مقبلون عليها .وفي شهر ذي الحجة الحرام .. لكانوا حقا هم رواد الإنسانية في حماية حقوق الإنسان والحيوان والنبات والجماد وكل خلق عيال الله في أرضه وسمائه، وكل ما أحاطهم به من بيئة ... إنهم مطالبون بأن يدخلوا في السلم كافة مع الخلق كافة... إنهم مأمورون كمسلمين بأن يحيوا في سلام مع كل الأنام .. لا يسفكون دما ، ولا يفسدون في الأرض برها وبحرها وجوها... إن المؤمنين المسلمين أمة أمن وسلام.. من الأمن والسلام اشتق الله لهم اسمهم .. ورسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قد علمهم ماذا يفعل كل منهم من العمل الصالح النافع حسبما يطيق ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، فإذا كان أعلى درجات العمل الصالح النافع في هذه الأيام والليالي كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم هي أن يخرج المؤمن المسلم مخاطرا بنفسه وماله ولا يرجع بشيء، أي أن يستشهد في سبيل الله، فإن من درجات العمل الصالح في هذه الليالي والأيام الفاضلة أن يكثر المؤمنون المسلمون من التهليل والتكبير والتحميد فيها ليلا ونهارا وعلى كل حال.. وهاهو رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يؤكد ذلك « مامن أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد». ومؤمن أو مؤمنة يعودان نفسيهما التكبير والتحميد والتهليل في هذه الأيام والليالي الفاضلة، وتستمر هذه العادة عندهما على مدار أيام السنة ولياليها، ويكون ذلك منهما عن يقين وصدق، بدون رياء ولاسمعة ولاشقاق ولا نفاق، أي شر يصيبهما؟ وأي شر يصدر عنهما؟ إن من لا يفتر لسانه عن ذكر الله بقوله: (الله أكبر) تردد كل جوارحه استجابة لقلبه، لا يخشى إنسا ولا جنا، لأنه في حماية ورعاية وصيانة الله الأكبر من كل كبير جل وعلا.. وهو في ذلك وبه لا يضر ولا يؤذي كبيرا أو صغيرا بالنية أو القول أو الفعل ... لأن الله أكبر جل وعلا يراه، وهو له بالمرصاد لينتقم منه لمن ظلمهم ...إن المؤمن أو المؤمنة اللذين لا يفتر لسانهما عن التهليل:(لاإله إلا الله)، لا يصدر عنهما عزم أو قول أو فعل، إلا وهو يصدق ما يقولان : لأن «لا إله إلا الله» تقتضي منهما أن يعملا لنيل رضا الله، ونفع خلقه عياله من كل جنس ولون وصنف وفصيلة... إن كسبا مالا فمن فضل الله ، وفيه حق معلوم للسائل والمحروم. إن أدركا جاها فلقضاء حوائج المحتاجين، وإن رزقا قوة فهي مسخرة لمساعدة الضعيف ، وإن منحا سلطة فهي لنصرة المظلوم، وكف الظالم عن ظلمه... والمؤمن والمؤمنة اللذين يردد قلباهما قبل لسانيهما: (الحمد لله) يعرفان حق المعرفة أن ما بهما من نعمة فهو من الله، وأنهما لا يحصيان نعم الله عليهما في كل أحيانهما وأحوالهما، فهما يلهجان بالشكروالحمد قولا .وهما يعملان بالشكر والحمد فعلا ..وقيد النعمة الشكر، وبالشكر يكون المزيد من تلك النعمة وبالشكر القولي والفعلي تتوالى النعم وتنهمر..ونعمة الشكر على النعمة نعمة.. ومابعد الجحود والبطر نقمة. لأنهما يؤديان إلى نوع من العمى القلبي الذي يجعل الإنسان يرى النعمة نقمة، والنقمة نعمة، والواقع خير دليل وشاهد.. لأننا نرى صاحب المليار يدعو بالويل والثبور لأنه يرى غيره يملك الملياربن، وصاحب الملياربن في غيظ وحسرة لأنه يريد أن يحقق لنفسه الفخر بإدراك الثالث الذي يتطلع إليه عند غيره.. ويتنافسون في البذخ والترف ومظاهرهما.. والترف يؤدي إلى الفجور.. وما بعد الفسوق والفجور من نقمة وقد علمنا أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وهما سيدنا عبد الله بن عمر، وسيدنا أبو هريرة رضي الله عنهم ، كانا يخرجان إلى الأسواق في هذه الأيام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما ، ليعلم الناس هناك أن الربح في التجارة، وتكثير المال، والازدياد من المتاع، لا تكبر صغيرا ولا تَرْفَعُ وضيعا. وأن الله أكبر من كل كبير، وأرفع من كل رفيع ، وأنه كفى بالمرء ضَعَة وصغارا، أن يكسب المال بغير ما أحل الله ، وأن ينفقه في غير ما يرضي الله... كما علمنا أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كان يصوم في هذه الأيام العشر.والصيام عبادة لاتعدلها عبادة ، في هذه الأيام خصوصا وفي غيرها عموما، فمن تطوع فيها بالصيام . حق الصيام. لله تعالى وحده ، فقد عرف كيف يذكر الله في أيام الله...

فيأيها المؤمنون، هل سنعرف ، وهل سنذكر أننا بفضل الله مسلمون مؤمنون؟ وأن لنا أياما وليالي فاضلات علينا أن نتذكرها ، وأن نذكر الله فيها ، وأن نحييها حق إحيائها ؟ إننا إذا أحييناها حيينا بها وسمونا وارتفعنا بها، ومن نسيها أو تناساها وضيعها أصبح إمعة يأكل من فتات موائد غير المسلمين ، ويقلدهم في احتفالهم بأيامهم وأعيادها.. وهو بذلك ضائع مضيَّع وضيع..وقد ذُكِّر، فهل سيتذكر ليذكر؟ أم سيبقى من الغافلين؟!.

اللهم نبهنا جميعا من غفلاتنا.. وأيقظنا من سباتنا..وارفعنا بك لك من ضعتنا .. اللهم ذكرنا لنذكرك فتذكرنا.. وأعنا على أن نغير ما بأنفسنا.. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين..

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي علمنا أن نذكر الله فلا ننساه في أيام الله، وفي كل حين وعلى كل حال، حين نشهد منافعنا الدنيوية، وحال ما نرجو أن نسمو بذكرنا إلى نيل أرفع الدرجات في حياتنا الأخروية الباقية غير الفانية..وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه، وجزاه عنا أفضل ما جزى نبيا عن أمته، فقد علمنا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن نصلح قلوبنا ونطهر طوايانا ونوايانا ، وأن نقيم أعمال جوارحنا بعزم وحزم وجزم على ما يرضيه عنا ويرضينا عنه، لتكون نفوسنا من النفوس الراضية المرضية عند لقائه.. وعند الاستعداد للقائه في مسعانا وكدحنا إليه بالعمل الصالح الدائب المستمر الذي لا يفتر، وخصوصا في أيامنا المباركة الزاهرة، ولياليا الفاضلة المنيرة. وقد يتساءل المؤمن المسلم الذي يريد أن يعمل عملا صالحا يطيقه في هذه الأيام والليالي المباركة:

. ماذا أعمل مما أطيق لكيلا تفوتني هذه الأيام وتضيع مني فرصتها؟ أقول له:

. استمع يا أخي إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهو يجيبك: « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والأخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والأخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، الإمام مسلم.

هذه أعمال فصلها الله لك يا أخي على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فاعمل منها ما تطيق بنية واستقامة وإخلاص.. وخذ بقوة منها ما تنفع به لينفعك، في غير كسل ولا عجز ولا شح ولاضعف .والله وليك فيما يرضيه ويرضيك.. اللهم اشهدنا ما ينفعنا في ديننا ودنيانا .. واشهد لنا بالعمل الصالح الذي يعم نفعه من نعرف ومن لا نعرف من خلقك عيالك... اللهم عودنا أن نذكرك في الأيام المعلومات والليالي العشر الفاضلات بالقلب واللسان والجوارح.. وعمم منا ذلك الذكر والعمل الصالح في كل أيامنا ولياليا .. واجعل حياتنا ماضية بالعزم والإخلاص على حبك وذكرك وشكرك وحسن عبادتك إلى أن نلقاك..

. أمير المؤمنين سادس المحمدين اللهم كن له الولي والنصير، والمعين والسند والظهير ، والحامي والواقي والمجير، وأصلح له الحاشية والبطانة والوالي والوزير، ووفق من يعمل معه للصالح العام من نائب ومشير .. اللهم يسر له إلى الخير والبر كل أمر صعب وعسير، اللهم أقر عينه بشقيقه السديد السعيد الرشيد مولاي رشيد، وبكل أهله وأسرته وشعبه، واجعل الجميع من حسناته .. مولانا محمد الخامس، ومولانا الحسن الثاني ، اللهم اشملهما برحمتك وعفوك وغفرانك وسربلهما بسربال رضوانك، واجعلهما في ظلك حيث لاظل إلا ظلك..

. اللهم ارحمنا وارحم والدينا وأشياخنا ومن علمنا ومن له الفضل علينا.. وارحم أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

. اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه و التابعين له بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أنت أعلم به منا ، واغفرلنا خطأنا وسهونا وعمدنا وكل ذلك عندنا ..واصلح ما بيننا وبينك ليصلح ما بيننا وبين أنفسنا وما بيننا وبين خلقك أجمعين .. وأصلح بناتنا وأبناءنا وأزواجنا .. واجعلهم عقب خير وصلاح وفلاح.. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين..

تطبيقات الإحسان الإلزامي بالمغرب

طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الإحسان الإلزامي
في الإسلام
وتطبيقاته في المغرب

تأليف
الأستاذ محمد الحبيب التجكاني
أستاذ بكلية أصول الدين بتطوان

1410هـ - 1990م

رابعا : التعليم

كان التعليم بالمغرب على ثلاثة أنواع : تعليم القرآن للصبيان في المحضر أو الكتاب ، وتعليم القراءات السبع أو العشر، ثم تعليم العلوم بمختلف أنواعها، وخاصة علوم اللغة العربية، وعلوم الشريعة.

ففيما يخص تعليم القرآن، كانت القرية أو الحارة بالمدينة تشارط فقيها بأجرة معينة، نقدية في المدن، وعينة في القرى، تؤدى للفقيه شهريا، أو سنويا : مقابل أن يقوم الفقيه بإمامة الأوقات الخمس، في مسجد القرية أو الحارة، ومقابل أن يعلم الأطفال مبادئ القراءة، والكتابة، ويحفظهم القرآن .

وكان عدد من المغاربة يقدمون للتلاميذ بالمحضر أو المسجد ما يحتاجونه من الألواح التي يكتب عليها القرآن، ومن مادة الصلصال التي تطلى بها الألواح ، لتسهل عليها الكتابة ، ومن الأقلام القصبية، ومن السائل الأسود الذي يكتب به(الصماغ) : فمثلا : كان بمدينة تطوان ، خلال القرن الماضي ، عدد من الدكاكين ، اشتهر أصحابها بتقديم هذه المواد ، مجانا ، للتلاميذ، يقصدهم هؤلاء من مختلف حارات المدينة.

وفيما يخص القراءات السبع أو العشر، كان نفس الوضع بالنسبة للفقيه واختلف الأمر بالنسبة للطلبة؛ فهؤلاء يأتون من قرى متعددة في القبيلة، ومن مناطق أخرى بعيدة، فكان على السكان أن يكفوا حاجاتهم من الطعام والإيواء ، ووسائل العيش بعامة.

وفيما يخص علوم العربية، والشريعة ، وغيرها يشارط الفقيه بأجرة تلتزم بها القرية، أو ربع القبيلة، أو القبيلة بكاملها ، ثم يبقى على السكان، كذلك ، أمر كفاية حاجيات الطلبة من وسائل العيش.

واختلفت وسائل كفاية حاجات طلبة القراءات، وطلبة العلم ما بين شمال المغرب وجنوبه: ففي الشمال كانت حاجة الإطعام تكفي عن طريق ما سمي بالمعروف ، وهو غذاء جاهز، أو مواد غذائية تدفع للطالب يوميا ، أو أسبوعيا ، يلتزم بها الأفراد في المدينة أو القرية لصالح الطلبة.

في نفس الآن يقوم سكان القرية ، أو القبيلة ، أو الطلبة أنفسهم ، أحيانا ببناء عدد من الغرف الصغيرة بجانب المسجد تكفي كل غرفة لإيواء طالب أو طالبين، وفي الجنوب ، وخاصة بسوس ، كان يتبع في توفير المأوى الأسلوب السابق، وفي الإطعام كانت تكفي الحاجة بثلث أعشار الزكاة، التي تدفعها القبيلة لهري المسجد؛ حيث تخزن تحت أمانة إمام المسجد، أو أمانة أمين مختار من لدن سكان القرية موقع المسجد ثم تستأجر امرأة واحدة أو عدة نساء لتهييء الطعام للطلبة في المسجد، وأحيانا يتناوب سكان القرية على تهييء الطعام بعد أن يأخذوا من هري المسجد ما يحتاجون.

ونشير هنا إلى ظاهرة تعود لتأثير اتجاه أبي العباس السبتي، السابق الذكر ، في الحياة الاجتماعية بالمغرب ، تسمى الظاهرة، بمدينة تطوان، العباسية؛ وهي تعني: أن أصحاب دكاكين (السفنج) يطبخون كمية من السفنج في أول العمل، كل صباح ، يوزعونها على طلبة القرآن، والعلوم الشرعية ، إحسانا ؛ وذلك قصد تقديم الفطور للطلبة، بعد نهاية درس الصباح؛ بحيث يكون لكل دكان سفنج طالب أو مجموعة من الطلبة ، يحسن إليهم بهذا الفطور، وكان السفاجون يعتبرون هذا المعروف شرطا لنجاح التاجر في عمله.

هذا فيما يخص الأفراد ، أما الزوايا فكان لها دور آخر أكثر استجابة في مجال الإحسان بالمعرفة : كانت الزوايا تؤسس مدارس يتولى فيها مؤسسوها التدريس تطوعا، بل كان البعض من هذه الزوايا يوفر للطلبة الغذاء والمأوى ، والملبس؛ ويذكر التاريخ: أن زاوية الشيخ محمد بن ويسعدن كان بها سبع مائة طالب، يكفيهم أستاذهم ابن ويسعدن كل حاجاتهم ، وأن الزاوية الدلائية بلغ عدد بيوت الطلبة بها في المدرسة التي كانت بإزاء الجامع ألفا وأربع مائة غرفة.

وحثت الدرقاوية، بعد ذلك ، على طلب العلم، وحددت قيمة الإنسان من خلال العلم، الذي يسبق العمل : فمن عرف فضل العلم وبركته هان عليه أن يسافر في طلبه من المغرب إلى المشرق، ومن المشرق إلى المغرب ، وقليل في حقه، إذ لا يعبد ربنا إلا به ، ولا كان من الناس حقا وصدقا إلا من كان عالما».

وكان من ذلك:أن دخل طلب العلم في أساسيات السلوك في الطريقة الدرقاوية، فهو سلاح السالك ضد الشيطان وضد الهوى، كما يقول الشيخ الحاج أحمد بن عبد المومن : « ولا بد له (المريد) أيضا من سلاح ليرهب به عدوه، وهو العلم، إذ لا يعبد ربنا إلا به، قال تعالى» إنما يخشى الله من عباده العلماء» .

وهكذا كانت الزوايا بالمغرب عبارة عن مدارس لعلوم الشريعة، لا يقل معدل الدراسة بها ثلاث دروس في اليوم، درس بعد صلاة الصبح.. وآخر بعد صلاة الظهر ، وآخر بين العشائين: وهذه الدروس منها ماكان يعطى للطلبة، ومنها ما يشترك فيه الطلبة والمريدون ، وخاصة درس ما بين العشائين.

ويكفي دليلا على أهمية هذه الدروس: أن الزوايا بالمغرب كانت تخرج علماء بمستوى خريجي جامعة القرويين ، إن لم يتفوقوا عليهم، والمثال من أبي علي اليوسي ، خريج الزاوية الدلائية ، والمفضل أزيات ، خريج الزاوية الدرقاوية بناحية تطوان.

ماجاء في أم القرآن

للفقيه العلامة المحدث الشيخ سيدي محمد التهامي كنون في كتاب أقرب المسالك إلى موطأ مالك

دلت أحاديث وآثار على أن لها أسماء عديدة، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى. الفاتحة، لما أخرجه البيهقي وغيره عن جابر مرفوعا «فاتحة الكتاب شفاء من كل داء» وأم القرآن، وأم الكتاب، لانطوائها على جميع أغراض القرآن وما فيه من العلوم والحكم، روى البخاري وغيره عن أبي هريرة مرفوعا: «الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني، لما أخرجه ابن جرير عن عمر السبع المثاني فاتحة الكتاب تثنى في كل ركعة، والكافية لأنها تكفي عن غيرها وغيرها لا يكفي عنها روى الحاكم عن عبادة مرفوعا" أم القرآن عوض من غيرها وليس غيرها عوضا عنها». والوافية، لأنها تجب قراءتها كلها في الصلاة ولا يجزئ بعضها ، وعن سفيان بن عيينة، سميت بذلك لأنها وافية بما في القرآن من المعاني. والشافية، لما أخرجه الستة والإمام أحمد عن أبي سعيد: « فاتحة الكتاب شفاء من اللمم والرقية، لما أخرجه الستة والإمام أحمد عن أبي سعيد بعثنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في سرية فنزلنا بقوم من العرب فسألناهم أن يضيفونا فأبوا فلدغ سيدهم فأتونا فقالوا أفيكم أحد يرقي من العقرب فقلت نعم أنا ولكن لا أفعل حتى تعطونا شيئا، قالوا فإنا نعطيكم ثلاثين شاة قال ففرات عليه الحمد لله رب العالمين سبع مرات فبرئ فلما قبضنا الغنم عرض في أنفسنا منها فكففنا حتى أتينا النبي ، صلى الله عليه وسلم، فذكرنا ذلك له فقال: أما علمتم أنها رقية اقتسموها واضربوا لي معكم بسهم، وسورة الدعاء، لاشتمالها عليه، روى أبو الشيخ عن عطاء قال: «إذا أردت حاجة فاقرأ فاتحة الكتاب حتى تختمها تقضى إن شاء الله.» وسورة الأمان، لما أخرجه البزار عن أنس مرفوعا، إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء إلا الموت». وسورة تعليم المسألة لأن فيها آداب السؤال حيث بدئت بالثناء قبله. وأمُ السنة لا شتمالها على الإيمان من قوله» الحمد لله رب العالمين الرحمان الرحيم ملك يوم الدين» وعلى الإسلام من قوله: «إياك نعبد» وعلى الإحسان من قوله". وإياك نستعين» ومجموعة الثلاثة هو الدين، وهو المستعار له الصراط المستقيم. وأساس القرآن، لما روي عن الشعبي أن رجلا شكا إليه وجع الخاصرة فقال: عليك بأساس القرآن، قال: وما هو

←

نماذج من الرعيل الأول

■ الاستاذ عبد القادر العافية

منهم الشيخ الجليل أبو الحسن علي بن أحمد الكناني، المشهور بابن حنين ، بفتح الحاء ، المتوفى 569هـ .

قبل الكلام عن حياته العلمية، ومسيرته الفكرية، يلاحظ الدارس لتراجم أعلام العلماء والفقهاء أن العالم المسلم كان يعتبر العالم الإسلامي المتسع الأرجاء شرقا وغربا وشمالا يعْتَبِرُهُ وطنا له ، ويعتبر كل جزء من أجزائه، وكل جهة من جهاته دار إسلام ، ودار الإسلام عند أسلافنا من علماء الأمة الإسلامية لم تكن كلمة جوفاء، ولا كلمة ذات مدلول نظري يصعب تحقيقه على أرض الواقع، فالعالم المسلم أين ما حل وارتحل فالدار داره، والمنزل منزله، معزز مكرم في كل قرية، وفي كل مدينة... يجد نفسه دائما بين إخوانه العلماء وطلبته المتعطشين للاستفادة منه؛ يرحبون بمقدمه، ينضم إليهم ويندمج فيهم بيسر وسهولة، يعتبرونه واحدا منهم ، ويعتبرهم إخوانا وأصدقاء ، وكأنه يعرفهم منذ أزمان طويلة ، يمهدون له سبل العيش والإقامة ، وكلما زاد نصيب من العلم والمعرفة ، زاد احترام الناس له، والإقبال عليه، وزادت الرغبة في الاستفادة منه ، وكيف لا ؟ وبواعث الأخوة متعددة الأسباب : أخوة الإسلام ، وأخوة حب العلم، والمعرفة، وحق الضيافة... فالعالم قبل أن يرحل من مكان إلى آخر كان متأكدا من متانة هذه الروابط ، ومن تقدير إخوانه العلماء له، ومتيقن في قرارة نفسه أنه شخص مرغوب فيه، وكان المجتمع الإسلامي على خلق رفيع، يقدر طلاب العلم ومحبي المعرفة، يستضيفهم ويساعدهم ويمهدلهم، وكان الوجهاء والحكام والأمراء وعلِيَة القوم يقدرون العالم المسلم حق قدره، ويميزونه عن غيره من الناس ، يحكي ابن العربي المعافري في مقدمة كتابه قانون التأويل: أنه وقع أسيرا هو ووالده، ومن نجا من السفينة التي ركباها من تونس إلى الاسكندرية بعد أن تقاذفتها الرياح العاتية، ولعبت بها أمواج البحر المتلاطمة، ورمت بها أشلاء إلى ساحل من سواحل ليبيا ، بمكان ذي حجارة حادة ناتئة، تشبث بها بعض الناجين من الغرق ، الذين وجدوا أنفسهم بعد صراع مع الموت، وجدوا أنفسهم وقد أحاط بهم حراس الثغور، وقادوهم وهم في أسوأ حال من العري والجوع والتعب... قادوهم إلى أميرهم ، يقول ابن العربي: وقفوا بنا أمام خيمة بها رئيسهم ، وهو منهمك في لعب السطرنج لم يعرهم أي اهتمام ، يقول: ولصغر سني اقتربت من اللاعبين، ورأيت الأمير ، وقد استبد به التفكير بأي بيدق يلعب ؟ فحرك أحد البيادق ، فقلت له:لا ، ووضع يده على آخر فأشرت إليه: نعم، وتوالت جولة اللعب، وتكررت الإشارات ، فتغلب الأمير على صاحبه، وأخذ الجميع ينظرون إلى الولد ، ابن العربي بإعجاب ، وسأل الأمير عن سبب وصول هؤلاء إلى هذا المكان؟ وبعد ما عرف الحكاية ، وأن ابن العربي طالب علم، وأن والده أحد علماء المسلمين .. أمر بإكرامهم ، وأحضر لهم اللباس المناسب، وعلى مائدة الضيافة، دار الحديث عن الشعر والأدب ، وذكر بعضهم بيتين أو ثلاثة لأبي الطيب المتنبي ، لكنه لم يحسن روايتها ولم يفهم معناها فهما جيدا، فصحح الشاب ابن العربي، وصوب، وزاد إعجاب القوم به ، وزاد الإكرام والتقدير ، يقول ابن العربي : لولا هذه الصُّبَابَة من الأدب، ومعرفتي بقواعد هذه اللعبة التي تعلمتها أيام الصبا والبطالة، لولا ذلك لكان الحال غير الحال.

فالعالم المسلم كان محل احترام وتقدير في المجتمع المسلم. ومترجمنا في هذه الحلقة أصله من طليطلة، وولد ونشأ بقرطبة وطاف ببلاد الأندلس ، ولقي كبار الشيوخ بها، وأخذ عنهم ، ثم رحل إلى بلاد المغرب العربي ، وتنقل ما بين المغرب والجزائر وتونس ، وطرابلس ومصر ، والشام ، ثم واصل رحلته إلى الحجاز، وحج ، وفي كل مكان يتصل بالعلماء ويأخذ عنهم ، ويجلس في حلقاتهم، وكان محظوظا، بلقاء العلماء الكبار، وبمكة التقى بأبي حامد الغزالي، وأجازه بها عدد من العلماء من المجاورين لمكة، ومن الذين يفدون عليها في موسم الحج. وطال مكوثه بمكة ، وبها درس على الإمام الغزالي أبوابا وفصولا من موطأ الإمام مالك، برواية ابن بُكير ، وجلس في دروس وعظه واستمع إلى طرفه وحكمه ونوادره...

وطال مقام مترجمنا بالحجاز ، وحج ثلاث مرات ليعود بعد ذلك إلى المغرب وهو مايزال في ريعان شبابه في نحو الثلاثين من عمره ، وفي فاس استوطن وتزوج، وبنى مسجدا نسب إليه لفترة طويلة من الزمن ، واشتغل بالتدريس ، وداوم عليه، وقصده الطلاب من كل مكان، وبالرغم من تضلعه في سائر العلوم الإسلامية فإنه ألزم نفسه بتدريس علوم القرآن الكريم ، لأنه كان يحفظه بالسبع، ويتقن تجويده، وكان متمكنا من معرفة القراءات، والروايات والطرق، وأصبح إماما لا يجارى في ميدان المعارف المتعلقة بالقرآن العظيم ، وحلا له المقام بفاس، واجتمع عليه الناس للأخذ عنه والاستفادة منه : علماء وطلبة وغيرهم، وهو مواظب على عمله في التربية والتعليم، ليلا نهارا، وشهورا، وأعواما، واستمر مقامه بفاس وهو على هذا الحال ما يزيد عن ستين سنة.

يقول عنه ابن الزبير في صلة الصلة: علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني المقرئ، يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن حَنين أصله من طليطلة، ولد بقرطبة ونشأ بها..ولقي جماعة من شيوخ الأندلس، وسمع الموطأ على ابن فرج مولى الطلاع ، بقراءة أبيه، وتلا بجيان القرآن على ابن أبي حَبيب الجياني وذكر أنه أقام بالقدس تسعة أشهر ، يعلم القرآن الكريم ، وأنه بعد ما رحل وحج، استقر بفاس إلى أن توفي بها.

ويقول عنه ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة : إنه قرطبي، طليطلي الأصل ، استوطن بفاس ، وأنه جدد مسجدا نسب إليه ، التزم بالتدريس فيه، وقال : روى بقرطبة عن أبي بكر خازم ، وأبي الحسين العبسي ، وتلا بالسبع عليه... ثم رحل وحج ثلاث حجات أولاهن في موسم خمسمائة... وروى بقلعة حماد عن أبي بكر عتيق بن محمد الرواني ، وبالمهدية عن أبي القاسم بن الفحام، وبطرابلس عن عبد المجيد بن محفوظ، وبالأسكندرية عن أبي علي الحسن ابن البلميمة ، وبمصر عن أبي الفضل سلامة... وبمكة كرمها الله عن أبي الحسن رزين بن معاوية. وهذا من الأندلسيين الذين جاوروا بمكة ، وهو من كبار العلماء. وصحبه مدة مقامه بها... وصحب بها الإمام أبا حامد الغزالي ، وسمع منه أكثر الموطأ برواية ابن بُكَيْر . وجملة من فوائده، ودعا له- أي الغزالي- أن يمتعه الله فأجيبت دعوته، وجال في بلاد العراق والحجاز ، و الشام ومصر، ولقي أعلاما كبراء ... ثم قفل إلى المغرب فلقي بتلمسان أبا بحر الأسدي وروى عنه ، ثم ورد مدينة فاس في غرة رمضان ثلاث وخمسمائة ، ابن ثمان وعشرين سنة، واشترى فيها دارا ، وبنى مسجدا ، وتزوج، وذلك كله عام قدومه فاس. إلى أن يقول : كان مقرئا للقرآن العظيم ، كثير الاعتناء برواياته، مجودا متقنا فاضلا صالحا... والتزم الإمامة بمسجده، والإقراء فيه ستا وستين سنة إلى أن توفي عقب رجب ، تسع وستين وخمسمائة...

وهكذا نرى أن ابن عبد الملك المراكشي اعتنى بترجمة أبي الحسن الكناني عناية تليق بمكانته ، على عادته مع كبار العلماء والأدباء، وخصص لها ثلاث صفحات بالقسم الأول من السفر الخامس تحت رقم: 310، وترجم له ابن الأبار في التكملة، وابن القاضي في جذوة الاقتباس، وعنده بدل الكناني (الكتامي) ، ومحمد بن جعفر الكتاني في سلوة الأنفاس ، بالإضافة إلى ابن الزبير السالف الذكر.

وختاما يلاحظ الدارس لترجمة مترجمنا أبي الحسن أن الرجل عاش على عهد الدولتين: المرابطية والموحدية، وفي السنة التي حج فيها حجته الأولى سنة 500هـ توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وتربع بعده على عرش الإمبراطورية المرابطية ولده علي بن يوسف، وفي عهده عاد مترجمنا من رحلته المشرقية إلى فاس سنة : 503هـ بعد مالقي الإمام الغزالي الذي توفي سنة : 505 هـ وأثناء وجود مترجمنا بالمشرق ، كان محمد المهدي بن تومرت زعيم دولة الموحدين يقوم برحلته المشرقية، والذي يزعم فيها أنه التقى بالإمام الغزالي ببغداد . فمترجمنا عاش فترة ازدهار الدولتين المرابطية والموحدية، وعاصر عبد المومن بن علي الكومي أول خلفاء الموحدين، وولده يوسف بن عبد المومن الخليفة الثاني في دولة الموحدين وعاش الأحداث السياسية والعسكرية، وماعرفه المغرب من تحولات جذرية.. في هذه الأثناء كان مترجمنا عاكفا بمسجده مخلصا في أداء رسالته في ميدان التربية والتعليم ، ونشر العلم بين طلابه ومريديه من محبي الحكمة والمعرفة ، بعيدا عن السياسة، وعن وظائف الدولة ، مقدرا مهمته في التوعية والتوجيه، ومتأثرا بالتربية الصوفية التي تلقاها في المراحل الأولى من شبابه ، وكان لقاؤه بالغزالي ، ودراسته عليه مما عمق المعارف الصوفية عنده، وهذا مما جعله زاهدا فيما يتهافت عليه كثير من أمثاله العلماء ، إن تشبع مترجمنا بأخلاق كبار رجال التصوف جعله ينظر إلى الدنيا بمنظار آخر، تاركا التطاحن والصراع عليها لسواه ، أما هو فقد شغله كتاب الله تعالى ، وحديث رسوله، صلى الله عليه وسلم، والحكم والمواعظ.. شغله كل ذلك عن متع الدنيا الفانية، وزخرفها الزائد، وقد عرف مهمته في الحياة ، ومن عرف ما قصد هان عليه ماوجد، ومن كانت المعرفة مبتغاه لا يجد اللذة في سواها، ورحم الله ابن السبكي الذي قال « وحصر الشيخ الإمام اللذة في المعارف ، لقد عاش أبو الحسن عمرا طويلا ، وهو مطمئن البال قائما بواجبه على أحسن وجه ، رحمه الله رحمة واسعة.

قال: فاتحة الكتاب، وسورة الحمد والشكر، لاشتمالها على ذلك، وسورة الكنز، لأن الله تعالى أعطاها لنبينا ، صلى الله عليه وسلم، من كنز تحت العرش روى البيهقي عن أنس مرفوعا إن الله أعطاني فيما مَنّ به علي إني أعطيتك فاتحة الكتاب وهي من كنوز عرشي، وسورة المناجاة، لأن العبد يناجي فيها ربه بقوله : (إياك نعبد وإياك نستعين) إن أبا سعيد قال أبو عمر: هو تابعي مدني لا يوقف له على اسم هـ.

وروى عن أبي هريرة وأبي بن كعب وعن الحسن البصري قال الحافظ ووهم ابن الأثير حيث ظن أن أبا سعيد هذا هو ابن المعلى فإنه صحابي أنصاري مدني وهذا تابعي مكي من موالي قريش كما قال مولى عامر بن كرير بضم الكاف وفتح الراء ، وبفتح الكاف وكسر الراء ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، صاحبي أسلم يوم الفتح وبقي إلى خلافة عثمان وقدم على ابنه عبد الله بن عامر البصرة لما استعمله عثمان رضي الله عنه عليها وعلى خراسا، فلما فرغ من صلاته لحقه زاد في رواية فخفف ولحقه فقال سلام عليك يارسول الله، قال: ويحك ما منعك إذ دعوتك أن تجيبني أولبس تجد فيما أوحي إلي « استجيبوا لله وللرسول» الآية .فقلت بلى يارسول الله، لا أعود إن شاء الله.

فائدة: من خصائص النبي ، صلى الله عليه وسلم، وجوب إجابته ولو في الصلاة كما قال (خ) وإجابة المصلي والمعتمد عندنا وعند الشافعية أنها لا تبطل بذلك والغز في ذلك من قال:

يافقيها شخص تلكم عمدا ◆◆ في صلاة ولم يكن إصلاحا
لصلاة وبعد هذا فقلتم ◆◆ تلك صحت وحاز هذا نجاحا
وأجبت بقولي
ذاك من قد دعاه خيرا البرايا ◆◆ في صلاة بشراه نال فلاحا
إني لأرجو

قال العلماء الرجاء من الله تعالى ومن نبيه ، صلى الله عليه وسلم، واقع محقق، حتى تعلم سورة، أي: تعلم من حالها مالم تكن تعلم،« ما أنزل في التوراة هي أجل كتاب أنزل قبل القرآن وأكبره، قال العارف بالله أبو عبد الله سيدي محمد بن ناصر الدرعي رحمه الله: في التوراة ألف سورة في كل سورة ألف آية كل آية كسورة البقرة هـ.

وهو غريب زاد في رواية ولا في الزبور وهو اسم للكتاب الذي أوتيه داود عليه السلام وقد اشتمل على مائة وخمسين سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل فيها تسبيح وتقديس وثناء على الله تعالى، وكان داود يخرج إلى البرية فيقوم ويقراها وتقوم علماء بني إسرائيل خلفه، ويقوم الناس خلف العلماء، والجن خلف الناس، والشياطين خلف الجن، وتجيئ الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه، وترفرف الطيور على رؤوس الناس وهم يسمعون لقراءة داود ويتعجبون منها فقرأت الحمد لله رب ... الخ . فقال أبو عمر: استدل به بعض أصحابنا على أن البسملة ليست منها وهي السبع المثاني أي المذكورة في قوله تعالى: «ولقد آتيناك سبعا من المثاني» فالمراد السبع الأي، سميت مثاني لأنها تثنى في كل ركعة أي تعاد أو لأنها يثنى بها على الله تعالى، أو لأنها استثنيت لهذه الأمة ولم تنزل على من قبلها. والقرآن العظيم الخ... مبتدأ وخبر أي هو الذي أعطيته لما فسر النبي ، صلى الله عليه وسلم، السبع المثاني أنه سمع أبا السائب هو عبد الله بن السائب الأنصاري المدني ثقة روى له مسلم والأربعة والبخاري في جزء القراءة فهي خداج بكسر الخاء المعجمة أي ذات الخداج أي النقصان وهو محمول عند مالك ومن وافقه على الإمام والفذ، اقرا بها في نفسك أي بتحريك اللسان استحبابا إن كانت الصلاة سرية أو المعنى تدبر وأنصت إن كانت جهرية استنانا قسمت الصلاة أي قراءتها ولعبدي ما سأل أي من العون قال بعض الصوفية ومن هو العبد حتى يقول الله تعالى يقول العبد كذا فيقول الله كذا لولا العناية الإلهية والفضل الرباني لما وقع الاشتراك في المناجاة. فهؤلاء لعبدي، أي: مختصة به لأنها دعاوى بالتوفيق إلى صراط من أنعم عليهم والعصمة من صراط المغضوب عليهم والضالين. ولعبدي ما سأل أي من الهداية وما بعدها قال بعض العارفين وإذا حققت وجدت الآيات كلها لله تعالى فإنك إنما عبدته بإرادته ومشيئته ومعونته إذ العبد لا حول له ولا قوة ولا إرادة إلا بحول الله وإرادته عن ابن أكيمة بضم الهمزة وفتح الكاف هو عمارة أو عمار بالفتح والتخفيف أو عمرو أو عامر الليثي المدني ثقة توفي سنة إحدى ومائة عن تسع وسبعين سنة. مالي أنازع القران، قال الباجي معنى منازعتهم له: أن لا يفردوه بالقراءة ويقراوا معه، من التنازع بمعنى التجاذب.

طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

أقرب المسالك
إلى موطأ الإمام مالك

للفقيه العلامة المحدث
الشيخ سيدي محمد المنهايي كنّون
رحمه الله وأولاه أجرا غير ممنون

1408 هـ ـ 1988م

الإمام مالك في الميزان

الحلقة الثانية

■ إعداد الاستاذ: محمد الشرقاوي

في الحلقة الماضية ألمحنا إلى شيء من حياة الإمام مالك، وأشرنا إلى أنه ألم بفقه الفقهاء السبعة، بعد حفظه للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف حتى أصبح إماما فيه، فقرر علماء الحديث أن أصح الأحاديث ماروته السلسلة الذهبية:مالك عن الزهري عن سالم عن ابن عمر، ومالك عن نافع عن ابن عمر ومالك عن ابن الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.

وكان إذا طرق بابه متعلم، وكان يسكن دار عبد الله بن مسعود، يسأله عن طلبه، فإذا كان غرضه الحديث، دخل الإمام مالك إلى داره، وتوضأ وتطيب ولبس ثيابا جديدة وصلى ركعتين ثم يخرج للتدريس، وقد اختار لمجلس درسه حيث كان يجلس عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، غير متسرع في إبداء الراي، يروى عنه أنه قال:" ربما وردت علي مسألة فأقضي فيها عامة ليلتي"كما روى عنه قوله:"ما كان شيء أشد علي من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام لأن هذا هو القطع في حكم الله، ولقد أدركنا أهل العلم في بلدنا، وأن أحدهم إذا سئل عن المسألة كأنما الموت أشرف عليه".

وقد تقدم أنه كان في فقهه واقعيا يكره افتراض المسائل تأسيا بسيدنا عمر رضي الله عنه. كما كان يكره الخوض في الغيبيات ويروى أن رجلا سأله عن معنى الاستواء في قوله تعالى (ثم استوى على العرش) فقال "الاستواءمعلوم والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب" وقد سأله الرشيد عن الدليل على وجود الله فقال: اختلاف اللغات والأصوات والنغمات. وكان يرفض الرد العقلي على البدع ويقول: هو رد بدعة ببدعة.

وكان يرى أن الإيمان يزيد وينقص، لأن مايقبل الزيادة يقبل النقصان غير أنه لما وجد آيات القرآن ذكرت الزيادة، فقط، كف عن القول بالنقصان وقال:"الإيمان يزيد وقد ذكر الله زيادته في غير موضع.

وكان يبغض المجادلة ويكره المناظرة لأنها قد تدفع إلى التعصب، من ذلك أن الرشيد طلب إليه مرة أن يناظر أبايوسف الفقيه الحنفي. فقال له:"إن العلم ليس كالتحريش بالبهائم والديكة".

كما كان بعيدا عن السياسة والتملق للحكام وذوي الجاه والسلطان يروى أن الخليفة هارون الرشيد طلب أن ينتقل الإمام مالك إلى قصره ليقرأ موطأه على ولديه الأمين والمأمون فقال مالك " أعز الله أمير المؤمنين، إن هذا العلم منكم خرج، فإن اعززتموه يعز، وإن أذللتموه ذل، والعلم يؤتى ولا يأتي.

وكان إذا دخل على الوالي بداه بالسلام ثم وعظه وحثه على مصالح المسلمين.

وبالرغم من بعده عن الخوض في السياسة، فإنه لم يسلم من أذى الحكام فقد ضربه جعفر بن سليمان والي المدينة بالسياط لما أوشى به مروجوا الفتن، وقالوا: إنه يوجه الناس إلى أنهم في حل من بيعتهم إلى أبي جعفر المنصور لأنها تمت على كره منهم. وقالوا إن ذلك لم يصدرمنه صراحة، وإنما يفهم ضمنا من فتواه بعدم وقوع طلاق المكره، إلا أن الخليفة لما علم بأمر الوالي مع الإمام مالك استدعاه إلى مجلسه واعتذر له، وأمر بنقل هذا الوالي إلى العراق.

وكان يكره التأويل ويطلب إمرار النصوص كما جاءت، فقد سأله تلميذه أشهب: هل يفيد قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)أنهم ينظرون إلى الله؟ قال: نعم بأعينهم، قال أشهب: إن قوما يقولون إن (ناظرة) بمعنى منتظرة. فقال: كذبوا، بل ينظرون إلى الله أما سمعت قول موسى (أرني أنظر إليك)أفترى موسى سأل ربه محالا؟! فقال: لن تراني. أي في الدنيا لأنها دار فناء، ويعلق الدكتور محمد سلام مذكور الذي نقلنا عنه هذا الكلام:"من هذا ترى أنه فهم النص كما هو دون تأويل" وللحديث بقية.

ص10

ولذا على الخطيب أن يراعي مايلي عند اختيارألفاظ الخطبة:

1. اختيار اللفظ المناسب للمعنى، وهذا يزيد في جمال الكلام وحسن البيان.

2 البعد عن الكلمات الغريبة واستعمال الألفاظ الواضحة المأنوسة باعتبار أن استعمال الكلمات الغريبة تعد عيبا من عيوب الألفاظ، لكونه ينأى بموضوع الخطبة عن الوضوح ويدخلها في الغموض كأن يقول: (يعروري) بدل يركب أو (تحرد) بدل فر أو هرب...

3 البعد عن الكلمات المبتذلة والركيكة والألفاظ العامية: فاستعمال مثل هذه الكلمات يورث أسلوب الخطبة ضعفا ويفقده الرونق والجمال وقوة التأثير في نفوس المستمعين الذين لا تستهويهم تلك الألفاظ، وإنما يأنفون لغة القرآن لأنها أوقع في النفس وأبلغ تأثيرا في الشعوروالخطيب الذي يستعمل ألفاظ اللغة الدارجة والكلمات المبتذلة والعبارات الركيكة لايتمكن من النهوض بجمهوره إلى مستوى يليق بلغة القرآن وثقافة الإسلام.

4. تفادي تكرار اللفظ الواحد في الخطبة لغير حاجة:إذ يعتبر هذا في علم البلاغة من العيوب لما يسببه من ملل وسأمة للجمهور المستمع ولايعني هذا أن التكرارمذموم في كل الأحوال فقد يكون محمودا إذا دعت إليه الضرورة في تقرير المعنى وتأكيده وترسيخه في النفوس ولفت النظر إليه وله أمثلة كثيرة في القرآن الكريم كقوله تعالى في سورة الرحمن:(فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله في سورة القمر:(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وكذلك في حديث الرسول (ص) مثل قوله :"والله لايؤمن، والله لايؤمن، والله لايؤمن الذي لايأمن جاره بوائقه"متفق عليه.

5 اجتنابه التكلف اللفظي وكثرة السجع في الكلام، والمقصود به عند البلاغيين توافق الفاصلتين في الحرف الأخير ولايكون إلا في النثر وهو مذموم إذا كثر وشاع في الخطبة لأنه يؤدي إلى انشغال السامع بإيقاعاته عن مضمون الخطبة ومعنى النص الذي كثر فيهما، وأما إن جاء عفويا في الخطبة فهو مقبول مستحسن، لأنه يزيد الكلام جمالا ورونقا ويكون له وقع وتأثير في النفوس، قال ابن القيم رحمه الله: "...ثم طال العهد وخفت نور النبوة وصارت الشرائع والأوامر رسوما تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به وأخلوا بالمقاصد التي لاينبغي الإخلال بها، فرصعوا الخطب بالسجع، وعلم البديع فنقص بل عدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها".

وقال الغزالي في الإحياء:"الآفة السادسة (آفات اللسان) التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع في التشبيهات والمقدمات، وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت"ولاننسى في نهاية هذه الفقرة أن نؤكد أن أرباب اللغة والفصاحة لم يستحسنوا كثرة السجع في الكلام، ولم يستسيغوا استخدامه الواسع في الخطب والنصوص النثرية ولو كانت كثرته من مظاهر جمال البيان وقوة اللسان وفصاحة المنطق لكان أولى الناس باستخدامه رسول الله (ص) وأصحابه الكرام ولكن لما نقرأ خطبهم ومواعظهم نجدهم أبعد الناس عن التكلف والصنعة والإكثار من السجع إلا ماجاء عفويا كقوله (ص):"إنكم تقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع".

تأملات و خواطر

محمد الخضر الريسوني

عالم يكيل بمكيالين إلى أين يسير ؟

لا أدري إلى أين يسير هذا العالم في وقت تشابكت فيه القيم وانزلقت الأخلاق، واختفت المقاييس وتغيرت المعايير لا بالنسبة إلى المجتمعات النامية الصغيرة، بل حتى المجتمعات الكبيرة التي تتباهى بقدرة حكوماتها ومؤسساتها على تنظيم رحلات سياحية إلى القمر والمريخ.

فالدول الكبيرة التي تتغنى بالديموقراطية وحقوق الانسان تحجم عن الكلام في هذه الأيام، وتلود بالصمت المطبق وهي ترى الدماء تسيل والجوع والحصار يطولان دولا عقيدتها الاسلام، ومنها من اتهمت بأنها ضمن محور الشر، فلا بد من الهجوم والقضاء عليها، فأي شر هذا الذي يعنون؟وفي منطقهم وكيلهم بمكيالين أن سفاح " صبرا وشاتيلا" شارون ليس بالشرير، بل يعدونه مدافعا عن الديموقراطية في الشرق الأوسط مع أنه يهدم بيوت الفلسطينيين، ويجرف زراعتهم، ويقتلع أشجارهم ، ويعمد إلى إحراق الحرث والنسل مستعملا دباباته وطائراته ليواجه بها أطفال فلسطين المتسلحين بالحجارة والمقلاع، ثم يصنفهم بالارهابيين. وإذا سقط إسرائيلي واحد بحجر فلسطيني يدافع عن أرضه المحتلة فإن الغرب ومعه أمريكا يقيمون الدنيا ولا يقعدونها، ويجعلون من هذا الحادث عملا إرهابيا خطيرا، ويوم قتلت الطائرات الصهيونية مئات اللبنانيين نساء ورجالا وأطفالا في " قنا" وأحرقتهم أحياء وهم يحتمون تحت علم الأمم المتحدة كان ما تدرعت به إسرائيل بجريمتها ووحشيتها أن عملها هذا مشروع، وأنها تدافع عن نفسها.

ولقد قرأت أخيرا، للأستاذ رجاء جارودي في كتاب جديد تناول في أحد فصوله مظاهر الانهيار الذي يشهده العالم ويقول: إن القيم الوحيدة التي يؤمن بها العالم الغربي ومعه الدول العظمى هي اهتبال المكاسب والأرباح والأموال واعتبار كل شيء قابلا للبيع والشراء.. قيم الفن والفكر والثقافة والضمير، ولأن الربح أصبح صاحب المقام الأول في هذه السوق، وفي أمريكا وأوروبا ينتحر الشباب ، وتصل موجة الانتحار إلى أعلى نسبتها في السويد والنرويج بلاد الرخاء والوفرة، ولكن السبب هو خواء القلوب وليس خواء الجيوب، وهكذا تسير بنا دول الغرب والدولة العظمى، على الخصوص، إلى عالم متصارع مخدر بائس تسليته الوحيدة هي أفلام الجنس والعنف وحروب الفضاء، وخرافات غزو سكان النجوم للأرض إلى آخر هذا الحشيش والهيروين الفني الموزع في العالم. في عالمنا المجنون أصبح من لا يموت منتحرا، فإنه يموت مخمورا أو مخدورا أو بالسكتة القلبية في البورصة أو بسبب الجوع والفقر والبطالة وكلها أعراض مرض اسمه السوق والبنك الدولي وبورصة الأوراق المالية ، فالمطلوب ،إذن، تمزيق الأقنعة عن هذه الأكاذيب السحرية المسكرة مثل كلمات "حقوق الانسان" و"الديموقراطية" و "الحرية" والتي جعلوها مع الأسف الشديد شعارات من نوع " بَرْقٌ مَا تَقْشَعْ " ... ياترى أين يسير بنا هذا العالم؟

واحة الميثاق

■ إعداد: عمر الريسوني

معجزة القرآن

تحدى القرآن العرب بلغتهم وبفصاحتهم وبلاغتهم فعجزوا عن مجاراته، وتحدى الانس والجن على أن يأتوا بمثله معجزوا، وتحدى الأمم القادمة على أن يأتوا بمعجزات علمية على النحو الذي جاء به القرآن فعجزوا كما عجز أسلافهم، ولكي تكون المعجزة بينه لاسداء أن نتأمل مابرع به الناس في الأمم الغابرة.

فقد برع بنو اسرائيل بالسحر ومارسوه، فإذا بموسى عليه الصلاة والسلام يرمي بعصاه لتلقف مايأفلون وأخرج يده من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين وضرب بعصاه الحجر فانفلق منه الماء، وضرب بها البحر فانفلق.

ولما برع قوم عيسى عليه الصلاة والسلام في الطب وعلومه جعل الله نبيه عيسى يحيى الموت بإذنه ويبرئ الأكمه والأبرص وغير ذلك من المعجزات الطبية.

أما العرب فقد نبغوا في فنون الأدب شعره ونثره وسجعه، وكانوا يهتمون بالبديع والبيان وقد اشتهروا بالفصاحة والبلاغة وجمال الاسلوب وماكانوا يتفنون فنا أو علما آخر غير الأدب لذا جاء القرآن معجزة لغوية بهرت أساطينهم كالوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة وأنيس الغفاري وغيرهم، حتى أن اجمع أهل العربية قاطبة وأهل اللسن منهم على أن القرآن معجز بحد ذاته،وانه معجز بفصاحة ألفاظه وروعة بيانه وأسلوبه الفريد الذي لايجاريه أسلوب لا من شعر ولا من سجع ولا من نثر، وهو معجز بسحره اللفظي الخلاب الذي يتجلى في نظامه الصوتي الفريد وجماله اللغوي وبراعته الفنية،وفي قدرته العجيبة على سرد الحوادث والأخبار بأسلوب جزل مع الجمع بين أمرين أو أكثر في آن واحد.

مثال ذلك قوله سبحانه وتعالى في أم موسى: وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولاتخافي ولاتحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين"، ففي الآية أمران:(ارضعيه والقيه في اليم)وفيها نهيان "ولاتخافي، ولاتحزني) وفيها بشارتان أو خبران "إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين.

فهل بإمكان إنسان أن يأتي بمثل هذا الاعجاز اللغوي الكبير؟

خاتم الرسالات محمد صلى الله عليه وسلم

قل للرسول تحية وسلاما
ممن بحبك هام حتى هاما
من والهة بك ماتعلق قلبها
بسواك في هذا الوجود غراما
بك قد تسامى حبها وشعورها
فسما وكم بك مثله يتسامى
وأكاد ماتلقى نفسي حظها
من فيض عطفك أن أصير رماما
فأنل فؤادي رؤية لك مرة
تحيا بها نفسي مني وذماما
أمل اؤمله فإن انا نلته
أدركت أحلى ماأود مراما
ياسيدي ياخير من وطئ الثرى
ياخير من عرف الوجود مراما
يامصطفى ياأحمد . ومحمدا
يامن كشفت غيا هبا وظلاما
أنت الرسول ختمت كل رسالة
فأتيتنا للأنبياء إماما
وأزلت عن هذا الوجود دياجرا
لم أسد لتفوق العقول قتاما
النور نورك مشرف طول المدى
ومتحقق . للمهتدين . مراما
لامن يعم ضيلؤه هذا الورى
مني إليك تحية وسلاما

سطور من نور

■ أبو بكر الصديق

عن عروة بن الزبير،عن عائشة، رضي الله تعالى عنها، قالت: لبست مرة درعا لي جديدا، فجعلت أنظر إليه وأعجبت به، فقال أبو بكر، رضي الله عنه: ما تنظرين؟ إن الله ليس بناظر إليك، قلت: ومم ذاك،قال: أما علمت أن العبد إذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته ربه عز وجل حتى يفارق تلك الزينة، قالت: فنزعته فتصدقت به، فقال أبو بكر: عسى ذلك أن يكفر عنك.

وقال أبو بكر الصديق، رضي الله عنه: إن إبليس قائم أمامك، والنفس عن يمينك، والهوى عن يسارك،والدنيا عن خلفك، والأعضاء عن حولك، والجبار فوقك.فإبليس يدعوك إلى ترك الدين والنفس تدعوك إلى المعصية، والهوى يدعوك إلى الشهوات، والدنيا تدعوك إلى اختيارها على الآخرة، والأعضاء تدعوك إلى الذنوب، والرب يدعوك إلى الجنة والمغفرة.فمن أجاب إبليس ذهب عنه المولى، ومن أجاب النفس ذهب عنه الدين، ومن أجاب الهوى ذهب عنه العقل، ومن أجاب الدنيا ذهبت عنه الآخرة، ومن أجاب الأعضاء ذهبت عنه الجنة، ومن أجاب الله تعالى ذهب عنه جميع الشر ونال جميع الخير.

هل تعلم؟

- ❖ أول من خطب على العصا والراحلة قس بن ساعدة الأيادى.
- ❖ أول من قال: أما بعد: نبي الله داود عليه السلام.
- ❖ أول عربي لبس الطوق عمرو بن عدي.
- ❖ أول من أسلم من الأنصار معاذ بن عفراء.
- ❖ أول من سمي القرآن مصحفا وأول من جمعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.
- ❖ أول خليفة ولي وأبوه حي أبو بكر الصديق رضي الله عنه.
- ❖ أول خليفة ولي وأمه على قيد الحياة عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- ❖ أول من بايع رسول الله (ص) بيعة الرضوان سنان الأسدي.
- ❖ أول من كتب التاريخ الهجري عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ربيع الأول سنة 16 للهجرة.

طرف من التراث

قسوة الزمان

دخل مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان،فقال له:أي الزمان أدركته أفضل؟ وأي الملوك أكمل؟ فقال: أما الملوك فلم أر إلا حامدا أو ذاما، وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين، وكلهم يذكر أنه يبلي جد يدهم، ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم.

كرمك دلني عليك

سأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنه فقال له: ما وسيلتك؟

فقال: وسيلتي أني أتيتك عام أول فبررتني، فقال:مرحبا بمن توسل إلينا بنا، ثم وصله وأكرمه.

كمال الأدب

استضاف رجل جماعة من الفتيان،فلما فرغوا من الطعام، خرجت جارية تصب الماء على أيديهم،فانقبض واحد منهم،وقال: ليس من الفتوة أن تصب النساء الماء على أيدي الرجال فقال آخر منهم: أنا منذ سنين أدخل هذه الدار، ولم أعلم أن امرأة تصب الماء على أيدينا أو رجلا. لله درك،فقد سار على دربك الربيع بن خيثم، تلميذ ابن مسعود، رضي الله عنه، والذي تردد على بيته السنين الطويلة، ومن شدة غض طرفه، كانت الجارية تظنه أعمى، فإذا طرق الباب دخلت على ابن مسعود، وقالت له: صاحبك الأعمى أتى.

كيفية إعداد الخطبة من طرف الخطيب حتى تكون ملائمة لظروف حال جماعته فقها وأداء ولغة

الحلقة الثانية

■ إعداد الأستاذ: العربي أدراوي

مراحل إعداد الخطبة

مرحلة الحديث هنا عن الخطبة الدينية، خاصة، خطبة الجمعة، ولكي تعد الخطبة إعدادا سليما لابد من تحديد الموضوع أولا، وأن يكون الغرض واضحا والهدف جليا، ثم بعد ذلك تكوين الفكرة الأساسية التي يدور حولها الموضوع، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن إعداد الخطبة وتكوينها لابد أن تمر بمراحل وهي: مرحلة اختيار الموضوع ومرحلة إيجاد العناصر وتركيبها ومرحلة اختيار الأدلة ومرحلة التعبير الخطابي.

ويمكننا تفصيل هذه المراحل في إعداد الخطبة على الشكل التالي:

أولا: مرحلة اختيار الموضوع وتسمى مرحلة الخلق وهي أساسية وعلى الخطيب أن يراعي فيها مايلي:

أ. المناسبة التي سيجعلها موضوعا لخطبته، وهذا أدعى إلى تفاعل الجمهور المستمع مع تلك الخطبة وإقباله على الأفكار والمعاني التي تتضمنها، والمناسبات كثيرة منها ما له علاقة بالمجتمع ومنها ماله علاقة بالامة وغير ذلك...

وهنا لابد من التنبيه على حقيقة أن خطبة الجمعة يجب أن تكون مواضيعها نابعة من حياة الناس اليومية حيث يعمد الخطيب إلى معالجة قضايا الساعة التي تشغل أذهان الناس وتتشكل منها ظروفهم فيختار منها أبرزها وأكثرها سيطرة على عقول الناس، ولايتأتى هذا للخطيب إلا إن كان يتابع أخبار الأمة عن طريق وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية.

ب. عقلية المخاطبين: ينبغي للخطيب أن يراعي العقليات الموجودة في المجتمع حال اختيار موضوع خطبته فلا يصح منه أن يخاطبهم في موضوع لايناسب ثقافتهم ولايتناسب مع ظروفهم وأحوالهم، فإذا خطب في جمهور من عامة الناس وبسطائهم، فليس من الحكمة أن يحدثهم عن النظريات العلمية والقواعد الفلسفية.

والهدف من دراسة العقليات الموجودة في المجتمع أن يقدم الخطيب حديثا مناسبا لكل فئة، فهم إما علماء أصحاب العقول المفكرة أو عامة الناس أو أصحاب العقول المجادلة والمخاطبة الذين أشار لهم القرآن الكريم في قوله تعالى:(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)سورة النحل/الآية:125.

ج. نفسية المخاطبين:ويجب على الخطيب أن يهتم بنفسية المخاطبين الذين يستمعون إليه فالناس تختلف نفسيتهم تبعا للبيئة والظروف التي يعيشون فيها فبيئة المدينة تختلف عن بيئة القرية. فلكي يكون الخطيب موفقا عليه أن يراعي الجانب النفسي لمخاطبيه.

وبعد أن يدرس الخطيب هذه الأمور المذكورة يضع لخطبته موضوعا مناسبا للمخاطبين، ولهذا الموضوع أهمية كبيرة في نفوس المستمعين فهو الذي يعبر عن مستوى تفكير الخطيب العلمي واطلاعه الواسع ومتابعته لقضايا مجتمعه وأمته.

المرحلة الثانية:إيجاد العناصر وتركيبها

بعد أن وضع الخطيب موضوعا محددا لخطبته ينتقل إلى إيجاد العناصرالمطلوبة ويجعلها مترابطة فيما بينها لاتخرج عن الموضوع الذي اختاره ومكملة لبعضها البعض، بل تكون في مجموعها عقدا متماسكة، فمثلا، إذا أراد الخطيب أن يتكلم في الاستقامة فيكون الموضوع هو:

الاستقامة في الإسلام وأثرها في الحياة الإنسانية، وتكون عناصره كالآتي:

1. مفهوم الاستقامة في اللغة والاصطلاح.
2. الاستقامة في الإسلام.
3. الجهات التي تطبق فيها الاستقامة.
4. أثر الاستقامة في الحياة الإنسانية.

ولكي يحصل الخطيب على العناصر المطلوبة في خطبته عليه أن يطلع على المصادر والمراجع العلمية التي تتحدث عن فكرة موضوعه وقراءة مابحثه أهل العلم في ذلك لكي تصبح لديه حصيلة جيدة من الأفكار والمعلومات فيتمكن من إلقاء خطبته بثقة تامة واطمئنان كامل.

المرحلة الثالثة: اختيار الأدلة

إذا انتهى الخطيب من إيجاد العناصر وتركيبها ينتقل إلى اختيار الأدلة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وآثار الصحابة وأقوال العلماء الذين لهم إمكانات عظيمة في قلوب المستمعين باعتبار أن أية فكرة يود أن يطرحها إنسان ما على جمهور من الناس لاتجد وقعا في نفوسهم وقبولا كاملا في عقولهم ما لم يدعمها ويعضدها بالشواهد المناسبة التي تستحوذ على ثقتهم وتكسب قناعاتهم واطمئنان قلوبهم، لأن الشاهد المناسب يعتبر قوة ترسيخ وتثبيت للأفكار والمعاني الملقاة على أسماع الناس وأذهانهم فيكونون بها أشد اهتمام وأكثر اعتداد.

فكلام الله، عز وجل، يحتل المنزلة العليا في الناس واعتقادهم لأنه الحق الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مصداقا لقوله تعالى:(وإنه لكتاب عزيز.لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) سورة فصلت/الآية:41. 42وحديث رسول الله (ص) يحتل المنزلة الثانية بعد القرآن في ثقة الناس لقوله تعالى:(وماينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى)سورة النجم/الآية:43.

أما أقوال الصحابة، رضي الله عنهم، فتعد حجة بعد كلام رسول الله (ص) حيث كانوا أقرب الناس إليهم فلقد عاشوا مع رسول الله (ص) ونهلوا من مورده فأشرقت قلوبهم وعقولهم بالمعارف والعلوم فكانوا إذا تكلموا جرت الحكمة على ألسنتهم وتجلى الحق في بيانهم فهم بعدرسول الله (ص) نجوم الهداية ومشاعل الإيمان.

ويأتي بعدهم السلف الصالح، ونعني به أولئك الذين عاصروا الصحابة الكرام أو عاصروا من عاصرهم وساروا على نهجهم أي أولئك الذين عناهم الرسول (ص) بقوله:"خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" رواه البخاري ومسلم.

شروط الاستشهاد بالأدلة:

1. أن يكون مناسبا للفكرة المستشهد عليها وإلا فلايعد الاستشهاد صحيحا، باعتبار أن الغرض هو دعم وتقوية الفكرة التي يعالجها الخطيب، وهذا من العيوب التي يسقط فيها بعض الخطباء أو الوعاظ حيث يستدل على كلامه بنص من القرآن أو الحديث في الوقت الذي لايوجد فيه أي ارتباط بين ما جاء في الفكرتو بين مايستدل به.
2. أن يكون الخطيب متين الحفظ دقيقا في نقله وإلقائه؛ لأن أي تغيير يطرأ على الشاهد بالزيادة أو النقص قد يؤدي إلى عدم تحقق الفائدة منه.

ولذا على الخطيب أن يتأكد من حفظه للشاهد أو الدليل، وإلا عليه أن يسجله في ورقة حتى يتمكن من أدائه كاملا، ويعتبر هذا عيبا في الخطبة.

3. أن يكون الشاهد مختصرا ما أمكن حتى لايصرف السامعين عن الموضوع الأصلي؛ فهناك من الخطباء من يتوسع في شواهد خطبته إلى حد طغيان تلك الشواهد على أفكار موضوعه،فهو إن استشهد بآية قرآنية أو حديث نبوي شريف استرسل في تفسير هذا الشاهد وبيان المعاني العديدة التي اشتمل عليها ثم يتناوله من جانبه اللغوي فإذا به يأخذ الحيز الأكبر لوقت الخطبة وموضوعها بعدما كان دليلا سيق لتأكيد فكرة فينتج عن ذلك انصراف السامعين عن فكرة الخطبة الرئيسية.

4. أن يكون الشاهد صحيح الوقوع، قوي الورود عن أصحابه: فلا يصح الاستشهاد بالقصص الخرافية والمكذوبةولا بالأحاديث الموضوعة ولا بالضعيفة في المواضع التي لايقبل فيها الاستشهاد بالضعيف ولابالأقوال التي تثبت نسبتها إلى أصحابها، فيجب على الخطيب أن يتحرى الشاهد تماما ويتأكد من صحة وروده وصدق حدوثه قبل أن يذكره في موطنه من الخطبة.

فإن أراد الاستشهاد بالحديث الشريف فعليه التأكدمن صحة نسبته إلى الرسول (ص) ويتم ذلك بالرجوع إلى مصادر الحديث الصحيح ومن أهمها:

صحيح البخاري. صحيح مسلم. سنن الترمذي. سنن النسائي. سنن أبي داود. سنن ابن ماجة.

وفائدة التأكد من صحة ورود الحديث بالرجوع إلى المصادر المعتمدة أن يتجنب الخطيب الاستدلال بحديث لايصح الاستدلال به كموضوع وهذا من أشنع وأقبح مايقع فيه بعض الخطباء، وبناء على ذلك نقول إن الحديث النبوي ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. مايحسن الاستشهاد به وهو الصحيح والحسن.
2. مايصح الاستشهاد به في فضائل الأعمال، فقط، وهو الضعيف.
3. مالا يصح الاستشهاد به ولا تجوز روايته وهو الموضوع.

وإن من أشنع وأقبح مايقع فيه بعض الخطباء استشهاداتهم بالأحاديث الموضوعة والمنكرة، فتجد بعضهم يقرر في كلامه الفكرة التي يدور حولها الحديث الموضوع ويجعلها حقا لا يرقى إليه شك، ولايأتيه باطل فيعتمدها لا لمضمونها بل للحديث الوارد فيها ونخص بالذكر الأحاديث الموضوعة وشديدة الضعف والتي اشتهرت على ألسنة الناس.

وبالإضافة إلى ذلك فعلى الخطيب أن يقدم في خطبته أدلة عقلية يقينية مقبولة عند السامعين لهذا يكون قد جمع في خطبته الأدلة النقلية والعقلية معا، وإلا كانت خطبته لا قيمة لها ولايقبلها المستمعون بقبول حسن ويعتبرون الخطيب ضعيفا في دراسته وليس له استعداد علمي يكفي لهذه المهمة وبالتالي يكون فاشلا إذا استمر في هذه الحالة من الضعف.

المرحلة الرابعة:التعبير الخطابي

نقصد بالتعبير في هذا الموضوع التعبير بالكلام وهذا ما يقتضيه المقام ولايدخل فيه التعبير بالإشارةوالملامح وغيرها، وإن كان الخطيب يستعين بهما في خطبته.

وأسلوب التعبير يختلف بينما هو كلام عادي وخطابي حينما يشرح فكرة عادية ويؤدي مفهوما أدبيا.

وبناء على هذا يمكننا القول إن التعبير الخطابي يختلف عن بقية التعابير وأساليب الكلام الأخرى فهو يمتاز بكثرة الجمل الإنشائية والألفاظ التأثيرية والكلمات الإيحائية التي يستثيرايقاعها المشاعر ويؤجج معناها المشاعر، ويؤجج معناها العواطف، ويهز جرسها أعماق النفوس، كما تكثر في الجمل القصيرة والعبارات الخاطفة التي تتناسب مع نفس الخطيب وقوة صوته وتساعد على استمرار التجاوب بين الخطيب، وجمهوره المستمع إليه.

وقد تحدث الباحثون عن التعبير الخطابي بالتفصيل، وإن كنا لانستطيع في هذا العرض الإحاطة بجميع الدراسات المتعلقة بالموضوع فيكفينا الاقتصار على خصائص الأسلوب الخطابي والإشارة إلى أهم الملاحظات التي يجب مراعاتها فيه، وقد عرف الباحثون أسلوب الخطبة بأنه مجموع الوسائل التعبيرية التي يطرح الخطيب عبرها أفكار خطبته ومعانيها، وعلى هذا نجد أن الأسلوب يشتمل على الألفاظ والتراكيب التي صبت فيها المعاني والأفكار، وبقدر مايكون أسلوب الخطبة قويا وجميلا وواضحا بقدر ما يكون تأثيره في النفوس عميقا واستيلاءه على العقول والأذهان بليغا وتحريكه للمشاعر والأحاسيس قويا.

وللأسلوب الخطابي خصائص يجب مراعاتها لتكون الخطبة ناجحة ومنها:

1. الإطناب: والمقصود به في علم المعاني أن يزيد اللفظ على المعنى وهو يقابل الإيجاز فإذا لم يكن لهذه الزيادةفائدة عد ذلك تطويلا أو حشوا.

وفي الخطابة الوعظية قد يطنب الخطيب إذا وجد المستمعين متحمسين لسماع خطبته، أو لما يستدعي الظرف ذلك، وإلا يكون الاختصار والإيجاز هو الأولى. وعلى الخطيب ألا يلتجئ إلى الإطناب في بعض المواطن: كأن يحس بأن في أقواله إبهاما أو شيئا مبهما غير واضح المعنى أو يرى المستمعين لايفهمون كلامه فهما واضحا فعليه أن يوضح الموضوع حتى يزول عنه الإبهام ويمكنه فهم ذلك من ملامح المستمعين.

أو يبين الخطيب أن هناك فكرة لطيفة لابد من بيانها لأهميتها في الحياة الإنسانية فيلجأ إلى التكرار حتى تكون الفكرة واضحة ويقتنع بها المستمعون.

إلى غير ذلك من الأسباب التي بها يلجأ الخطيب إلى استعمال الإطناب في خطبته.

2. الوضوح :إن من أهم مايجب أن يتصف به موضوع الخطبة هو الوضوح فهو السبيل إلى فهم السامعين أفكاره وإدراك معاني، وإلا جاءت الخطبة معقدة الأفكار غامضة المعاني يستعصي فهمها على أذهان السامعين، ويصعب عليهم إدراك معانيها أو مضمونها مما يؤدي إلى نفور المستمع من الخطبة وانصرافهم عن خطيبها وانتظارهم لحظة انتهائها بفارغ الصبر.

فالوضوح عامل رئيسي على انفعال الجمهور المستمع مع الخطبة.

والمقصود بالوضوح هنا سهولة الأسلوب الذي يستعمله الخطيب في مخاطبة الناس فإذا استعمل الألفاظ الغريبة والتراكيب المعقدة لم ينجح في توصيل معاني خطبته إلى عقول الناس وقلوبهم.

يقول الإمام النووي: "يستحب كون الخطبة فصيحة بليغة مرتبة مبينة من غير تمطيط ولاتقعير ولاتكون ألفاظها مبتذلة وملفقة، فإنها لاتقع في النفوس موقعا كاملا، ولاتكون وحشية لأنه لايحصل مقصودها..."

تابع ص8

الوصايا العشر في الإسلام

الأستاذ : أحمد تشكيرت

هذه الوصايا من الله لعباده أشارت إليها سورة الأنعام في الآيات من(151 . 153) . وهو قوله تعالى « قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألاتشركوا به شيئا . وبالوالدين إحسانا، ولا تقتلو ا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم . ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده. وأوفوا الكيل والميزان بالقسط . لا نكلف نفسا إلا وسعها . وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون. وأن هذا صراطي مستقيما. فاتبعوه. ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » الأنعام الآيات (151. 153)

وللتذكير فإن سورة الأنعام عرضت وبينت كثيرا من أدلة التوحيد والرسالة والبعث، ودفعت كثيرا من الشبه التي كان يثيرها خصوم الدعوة الإسلامية . ووضحت جملة من سنن الله في الإضلال والهداية وفي معارضة الباطل للحق. وأخيرا ختمت بهذا الربع « قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم » الآيات.

هذه الوصايا من الله لعباده على لسان نبيه وخاتم رسله موجهة إلى الإنسانية كلها وللعالم أجمع إلى أن تقوم الساعة ، وهي تجمع بين العقيدة الصحيحة والسلوك القويم والمعاملة الحسنة، والوفاء بحقوق الله وحقوق العباد. وحينما يلتزم بها الناس ويطبقوها في حياتهم يعيش الجميع في أمن وإخاء ومودة وسلام وطهر وعفاف . وتلك هي السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، وبحسن مدلولها تشتمل على النواهي ، والأوامر.

فالنواهي تشمل على خمسة وهي:

- النهي عن الإشراك بالله.
- النهي عن قتل الأولاد خشية الفقر.
- النهي عن قرب الفواحش ماظهر منها وما بطن.
- النهي عن قتل النفس إلا بالحق.
- النهي عن قرب مال اليتيم.

والأوامر تشتمل على خمسة أيضا وهي:

- الأمر بالإحسان إلى الوالدين.
- الأمر بإيفاء الكيل والميزان.
- الأمر بالتزام العدل في الحكم وأداء الشهادة.
- الأمر بالوفاء بعهد الله وحقوق العباد.

الأمر باتباع أحكام الله ووصاياه.

وهكذا ركزت هذه الوصايا على أمهات الفضائل وأسس الخير للفرد والجماعة ، ففي جانب العقيدة ألا تشركوا به شيئا «فله وحده العبادة ، وحق الاستعانة، ومنه وحده الخوف والرجاء ، وله وحده التحليل والتحريم. وفي جانب السلوك « وبالوالدين إحسانا» فمنهما نشأ الإنسان وتربى في أحضانهما، والاحسان إليهما اعتراف لهما بالجميل» ولا تقتلوا أولادكم من إملاق « فالولد ثمرة الحياة، وحلقة في سلسلة النوع الإنساني. وفي حكم قتل الولد إهمال تربيته وعدم تعليمه أمور دينه» ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق «. فالاعتداء عليها هدم لعمارة بناها الله، واعتداء على خلافة أرادها الله» ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط « فالأموال صنو النفس وعنصر الحياة. والاعتداء عليها اعتداء على الحياة.. والاعتداء هنا إما عن طريق استضعاف المالك لليتيم، وإما عن طريق الاختلاس في المعاملات التي لابد للناس منها وهو طريق البيع والشراء.

وفي جانب القول: «وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذاقربى وبعهد الله أوفوا» والعدل والوفاء بالعهد قطبا النظام، فلا عمران مع الظلم، ولانظام مع المحسوبية ،ولا ثقة مع نقض العهود وإهمال شرع الله، ولا حياة لأمة عرفت بنقض العهود» وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله» فهذا اعتصام بحبل الله وشرعه، والاعتصام بحبل الله سبيل الخير والفلاح.

هذا ولقد اتفقت جميع الأديان السماوية على هذه الوصايا الإلهية للناس جميعا وذكرت في جميع الكتب السماوية باعتبارها أصولا مسلما بها قال ابن عباس : هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء . وهن أم الكتاب، من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار.

وكما سبقت الإشارة إلى ذلك سابقا فإنها تشتمل على الأوامر والنواهي وتفصيل ذلك كما يلي:

أولا النواهي ، وهي الأمور التي يجب على الإنسان تركها واجتنابها وهي كالآتي:

. الوصية الأولى في النواهي : النهي عن الإشراك بالله تعالى.

والإشراك بالله من أكبر المعاصي على الإطلاق، وأقبح الآثام، لذلك كان الذنب الذي لا يغفره الله تعالى. ما استمر الإنسان مصرا عليه، قال تعالى» إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء . ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما» سورة النساء آية 48 .

والنبي ،صلى الله عليه وسلم، اعتبر الإشراك بالله في مقدمة كبائر الإثم فقال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا، الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور . أو قول الزور» . رواه مسلم.

وقال أيضا» اجتنبوا السبع الموبقات ... « الحديث ، وذكر في مقدمتها الإشراك بالله . فالإشراك بالله إثم عظيم، لأنه تعد في حق الله . المنفرد بالخلق والتدبير لهذا الكون. وهو افتراء باطل على حق القدرة الإلـهية . ثم ان الشرك بالله كان مصدر شر على البشرية في تاريخها الطويل . فهو الذي كبل عقول الناس بالخرافات والأساطير، وجلب لهم الخصام والنزاع والاقتتال.

والإسلام دعا إلى وحدانية الله . كما جاء ذلك في كثير من الآيات. وفي سورة الإخلاص « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد» وقد خلق الله الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئا . قال الله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون». والعبادة هي التوحيد.

إن هذا الوجود الذي نعيش فيه لأكبر دليل على وجود الله. لأن كل أثر لا بد له من مؤثر. وكل موجود لابد له مِنْ مُوجِد يوجِدُهُ. وقد نبه الله الفكر والعقل في آيات كثيرة إلى أنه لابد لهذا الكون من خالق ، ورد على الزائفين الملحدين في قوله» أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون».

والإيمان بالله ، هو الذي يجعل الإنسان يمشي على هذه الأرض بالحكمة ويهتدي إلى الصواب . فلا يظلم ولا يرتكب أي عدوان. يومن بالله وملائكته وكتبه ورسله ويعتقد أنه مبعوث ليوم عظيم يحاسب فيه على كل أعماله، فمن كان كذلك، لا يكون إلافردا صالحا في المجتمع، ينفع نفسه وغيره، ويحافظ على حقوق إخوانه من بني جنسه.

والإيمان يربي في النفس عزة بالله وثقة به والتوكل عليه، ويحصنه من وسواس الشر وعوامل اليأس والقنوط التي كثيرا ما تؤدي بغير المؤمنين إلى الجنون والانتحار. وصدق الله العظيم إذ يقول » ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يومن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم » التغابن الآية 11».

عضو الرابطة فرع الناظور

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 978
السنة 34
الجمعة 02 ذو الحجة 1422 هـ
الموافق 15 فبراير2002 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة فضالة- المحمدية - المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية وتعبر عن آراء أصحابها

طبع من هذا العدد 4000 نسخة

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية لـ« العالم الإسلامي »

المبالغة في النقد من أعظم الآفات التي تصيب الدعاة

أكد الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب أن مهمة علماء الإسلام هي التعريف الصحيح بالدين الإسلامي والعمل على جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم وتقوية انتمائهم للأمة الإسلامية، وصيانة هويتهم العقائدية والعمل بما جاء في كتاب الله تعالى والسنة النبوية الشريفة.

وأوضح في حوار أجرته معه "العالم الإسلامي" أن خطبة الجمعة من أهم وسائل الدعوة الإسلامية ومن أقوم سبل إصلاح المجتمعات، بالإضافة إلى كونها وسيلة لتلقين الأحكام الشرعية ونشر الأحاديث النبوية الصحيحة، فإليكم الحوار التالي:

أجرى الحوار: محمود بيومي

مستقبل الإسلام في افريقيا:

■ تتعرض القارة الافريقية لمؤامرات معادية تستهدف محو كل ارتباط إفريقي بالإسلام.. فما هو الدور المغربي لحماية المسلمين في هذه القارة؟

● ●لاشك أن إفريقيا هي أول قارة في العالم تعرفت على الإسلام في العهد النبوي الشريف، وقد عاشت أول جالية مسلمة على أرض هذه القارة..ونحن ندرك أن المسلمين في افريقيا في حاجة إلى من يهتم بأحوالهم ويدعم مشروعاتهم الدعوية والتعليمية ويرصد لأبنائهم العديد من المنح الدراسية، وقد نال المسلمون في افريقيا اهتمامات واسعة من الدول الافريقية والعربية.

وأضاف: وقد قمت بعدة زيارات للدول الافريقية للتعرف على مطالب المسلمين هناك وخرجت من هذه الجولات وانا متفائل جدا، لأن العمل الإسلامي في إفريقيا يسير دوما إلى الأمام ويحقق إنجازات إيجابية لصالح الإسلام والمسلمين، والمغرب في هذا المجال له رسالة إسلامية يؤديها لدعم المسلمين في افريقيا بالدعاة والمكتبات وتوفير المنح الدراسية اللازمة لدراسة علوم الإسلام واللغة العربية بالمعاهد والجامعات الغربية، ودعني أؤكد أن افريقيا تسير في دروب الإسلام الصحيح وتصون هويتها المسلمة.

الارتقاء بخطبة الجمعة ضرورة دعوية معاصرة

المجالس الإسلامية العلمية:

■ تشتهر المغرب بكثرة انشاء المجالس العلمية.. فما دور هذه المجالس في نشر المعارف الإسلامية الصحيحة؟

● ●تتبوأ المجالس العلمية مكانة طيبة بالمغرب،فمن خلال هذه المجالس يمارس العلماء مهامهم في الحفاظ على سلامة العقيدة ووحدة الأمة وأصالتها، وخطتنا تقوم على إحياء العلوم الشرعية وانعاشها بالمدارسة والتمسك بكتاب الله تعالى وسنة الرسول (ص)، لذلك لانسند اي دور في الدعوة إلا للعلماء الكفاة..

واضاف: وتعمل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب على إحياء الكراسي العلمية وإنعاش المدارس الإسلامية وطبع الكتب الدينية وتشجيع حفظ القرآن الكريم وتدارس علومه.. وانشاء المعاهد الدينية لتخريج الدعاة وتدريبهم.

مخاطبة العقول:

■ قام المغرب بإنشاء مؤسسة إسلامية للأبحاث العلمية الطبية فنرجو تسليط الضوء على هذه المؤسسة.

● ●بداية أود أن أوضح أن الإسلام يحث في طلب العلم والظاهرة التي نلاحظها في هذا العصر هو أنه كلما ارتقى العلم كلما اتسعت دائرة الإسلام وكثر اتباعه.. بل إننا نقرأ كل يوم عن فئة من كبار علماء الطب والكيمياء والرياضيات وغيرها من العلوم يهديهم علمهم إلى اعتناق الإسلام.

ولعل الإسلام، بما فيه من حقائق لايدركها إلا العقل المستنير بنور العلم، وجد أن من أحسن السبل لترسيخ وجوده واستمرار اشعاعه مخاطبة العقول، والإشادة بالعلم لدفع الناس إلى اكتشاف الأسرار الربانية.ومن هذا المنطلق تم إنشاء مؤسسة الحسن الثاني للأبحاث العلمية الطبية.. التي هي لقاء بين العلم والدين في خدمة الإنسان وهي خطوة في سبيل خلق الوعي الحي لدى المسلم...

الملتقى العالمي لخطباء الجمعة:

■ لاشك أن خطبة الجمعة من أهم وسائل الدعوة الإسلامية..

وتبذل المؤسسات الإسلامية دورا مهما في سبيل الارتقاء بخطبة الجمعة.. فما هو السبيل لبلوغ هذه الغاية؟

● ●خطبة الجمعة هي لقاء أسبوعي بين المسلمين في رحاب بيوت الله تعالى، يتزودون فيه بشحنة ايمانية، وطاقة روحية بما يستمعون إليه من توجيه ينير البصائر.. وخطبة الجمعة هي أقوم سبيل لإصلاح المجتمعات ونشر الفضيلة فيها وتنمية روح التكافل والتضامن بين أفراد الأمة، وهي فرصة لتلقين الأحكام الشرعية ونشر الأحاديث النبوية الشريفة واستعراض نماذج القدوة في بناءالإنسان من تاريخ الإسلام وسيرة الرسل والأنبياء عليهم السلام.

وأضاف الدكتور عبد الكبير العلوي: ولما كانت لخطبة الجمعة هذه المكانة كان من اللازم أن يقع الاهتمام بها.. فيجتمع أهلها لتدارس أمرها وأحوالها وبحث مناهجها وأساليبها..لذا اهتم المغرب بعقد ملتقيات لخطباء الجمعة في العالم لتدارس سبل الارتقاء بخطبة الجمعة.

سوق الكاسيت:

■ ومارايكم في ظاهرة بيع خطب الجمعة المسجلة على شرائط الكاسيت.. وهل هي ظاهرة صحيحة وسليمة شرعا؟

● ● إن من أعظم الآفات التي قد تصيب بعض الدعاة والخطباء آفة الافتتان بالجمهور فيبالغ في النقد مبالغة زائدة عن الحد، وهذا الامر فيه إغراء للجمهور واشتهار الخطيب حتى أصبح بعضهم كمشاهير النجوم يزدحم الناس في مساجدهم وتباع شرائط خطبهم وتنقلب الحال إلى عملية تجارية.. وهذه ظاهرة جديرة بالدراسة من الناحية الشرعية،حتى لا تتحول خطبة الجمعةإلى سلعة تباع في الأسواق.

إننا نريد لخطبة الجمعة أن تكون استمرارا لمنهج الرسول (ص) وخلفائه الراشدين والسلف الصالح من خطباء الأمة، ونريدها صوتا يوقظ الأمة ويشع منها الصدق والإخلاص وطاقة للعمل والخلق والإبداع..نريدها خطبة حية تغرس في الأمة ثقتها بنفسها.. يفهمها الأميون ويدرك معانيها ويستفيد منها كل إنسان.

المخطوطات ثروة الأمة:

■ تزخر المكتبات العالمية بعدد كبير من المخطوطات الإسلامية النادرة، فكيف نصون تراثنا الإسلامي العلمي الوفير؟

الإسلام يخاطب العقول لترسيخ الإيمان في القلوب

● ● لاشك أن الأمة الإسلامية لديها رصيد ثقافي في العديد من الكتب الفقهية والمخطوطات الإسلامية والوثائق التاريخية المهمة، والتي يجب الحفاظ عليها والتعريف بها بشتى الوسائل، لتكون في متناول الدارسين والباحثين.. وتقوم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب بدورها في مجال إحياء التراث الإسلامي عن طريق طبعه ونشره وإقامة المعارض الثقافية الخاصة بهذا التراث. كما وقعت الوزارة اتفاقيات وبروتوكولات مع وزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية في مصر وبلدان العالم الإسلامي والعربي في مجال تحقيق المخطوطات ونشرها وتوزيعها.. باعتبار أن هذه المخطوطات من أهم ثروات الأمة الإسلامية.

نشرته بتاريخ:2002/2/1ص:16، : عن جريدة العالم الاسلامي